مرتضى مطهري

الجمهورية الاسلامية

قضايا

دار الهادي



قضايـــا

الجمهورية الاسلامية

الطبعة الاولى

١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م

مرتضى مطهري

قضايا الجمهورية الاسلامية

دار الهادي
بيروت — لبنان

بيروت ـ شارع بشارة الخوري ـ قرب جسر البربير
ملك محمد خضر منصور ـ ص. ب ٥٢٤٨ ـ ١٤

مسألة النظام والثورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الاسلامية في ايران :

تجربة ضخمة أخرى على خط رسالات السماء ••
وتحقيق لأمل الاجيال المسلمة المتطلعة الى اقامة « المجتمع الاسلامي » ••
وتجسيد لانتصار قوى الحق على قوى الباطل •

ولادة هذه الجمهورية :

تنبيء بغد تسقط فيه الاصنام والطواغيت •• وتبشر بانجاز وعد الله باستخلاف المستضعفين في الارض •
وتأتي في وقت تكالبت قوى الشر على ازهاق أرواح البشرية وامتصاص دمائها وابادة خيراتها •

هذه الولادة المباركة الكبرى تطرح على الساحة قضايا متعددة ••

قضايا تتعلق بالاصالة وبالتطبيق وبالتحديات •• وبالمستقبل •

وسائل الاعلام العالمية والعربية تناولت دراسة هذه القضايا بشيء قليل من الوضوح وكثير من الخلط والخبط وسوء الفهم ،

وبقليل من الانصاف وكثير من الدس والافتراء والتحامل ·

من هنا ولدت فكرة اصدار هذه السلسلة التي تتولى تقديم أحاديث ودراسات تتعلق بمعالجة قضايا الجمهورية الاسلامية على لسان رواد الفكر الاسلامي في ايران ·

هذه الحلقة ترجمة لمقابلة تلفزيونية هامة أجريت مع الاستاذ الشهيد مرتضى مطهري قبل اجراء الاستفتاء العام على « نظام الجمهورية الاسلامية » في ايران ·

كان من المقرر أن تنظم هذه الحلقة وتبوب من قبل الاستاذ الشهيد قبل طبعها ونشرها ·· ولكنه غادر ـ رضوان الله عليه ـ والمقابلة على ما يراها القاريء من عدم تبويب وتنظيم ·

الاستاذ الشهيد تناول في هذه المقابلة مسائل على غاية من الاهمية تتعلق بالنظام الاسلامي وبطبيعة الثورة ومستقبلها · نأمل أن تكون فاتحة خير لما سنقدمه للقارىء العربي ـ ان شاء الله ـ من مسائل تهمه بشأن الجمهورية الاسلامية في ايران · والله الموفق ·

« المعرب »

● فضيلة الاستاذ ، نحن على أبواب اجراء الاستفتاء العام لتعيين النظام الحاكم في ايران ، وخلال هـذه الايام، يطرح البعض ـ وخاصة المثقفين ـ أسئلة فكرية وايديولوجية تتعلق بمسألة النظام ٠٠

نغتنم فرصة لقائنا بكم في هذه الندوة التلفزيونيـة لنوجه اليكم أهم تلك الاسئلة :

أبدأ من مفهوم (الجمهورية الاسلامية) ، وهو مفهوم يبدو غامضا الى حد كبير ٠٠ فالجمهورية تعني اعطاء الشعب حق الحاكمية ٠٠ بينما الصفة الاسلامية تقيد هذه الحاكمية وتحددهـا ، ويبدو أيضا ان مفهـوم الجمهورية الاسلامية يتعارض مع مفاهيم الديمقراطية ومفاهيم الجمهورية بمعناها المطلق العام ، فهل لكم أن تعطونا صورة واضحة لنظام الجمهورية الاسلامية ؟

ـ أعتقد أن مفهوم (الجمهورية الاسلامية) واضح لا يحتاج الى كثير من الشرح والتفصيل ٠

فالمفهوم مركب من كلمتين : كلمة (جمهورية) وكلمـة (اسلامية) ٠٠

كلمة الجمهورية : تعين شكل الحكومة المقترحة ٠

وكلمة اسلامية : تحدد محتوى هذه الحكومة ·

تعلم أن النظم التي حكمت في العالم وتحكم الآن متنوعة ، منها النظام الفردي الوراثي ، كنظام السلطنة والنظام الملكي·· ومنها النظام الارستقراطي كالنظم التي يحكم فيها الفلاسفة أو الحكماء أو المتخصصون أو الاشراف · ومنها حكومة المتنفذين وأصحاب رؤوس الاموال ودافعي الضرائب ·· وغيرها من النظم والحكومات ·

حكومة عامة الناس ، واحدة أخرى من الحكومات المطروحة على ساحة أنظمة الحكم ·· وهي تعني الحكومة التي يتمتع فيها جميع الناس بحق الانتخاب دون تمايز بينهم في الجنس أو اللون أو العقيدة ، والشرط الوحيد في المنتخِب هو البلوغ والنضوج العقلي لا غير ··

اضافة الى ذلك ، الهيئة الحاكمة المنتخبة تحكم لفترة معينة ، وللشعب حق ابقائها أو تغييرها بعد انقضاء تلك الفترة ·· وهذا الشكل من أنظمة الحكم هو (الجمهوري) ، وهو الشكل المقترح لنظام الحكم في ايران ·

أما كلمة (اسلامية) ، فتعني كما قلنا تحديد محتوى هذه الحكومة ، محتوى هذا الشكل ــ أي ان المنتخب حينما يقول نعم للجمهورية الاسلامية ، يقترح أن يكون نهج الحكومة قائما على أصول وتعاليم اسلامية ·

الاسلام ــ كما هو واضح ــ مدرسة فكرية وايديولوجيــة واطروحة لتنظيم الحياة البشرية بجميع أبعادها وشؤونها ·

من هذا نفهم أن (الجمهورية الاسلامية) تقوم على أساس

نظام يتمتع فيه أفراد الشعب بحق الانتخاب وبحق تغيير الهيئة الحاكمة ، وهذا هو شكل النظام ·· أما المحتوى فاسلامي ·

والذين يجدون غموضا وتناقضا في كلمة (الجمهورية الاسلامية) قد اختلط عليهم الامر ، وخالوا أن ثمة تناقضا بين حق السيادة وحق الالتزام بمدرسة فكرية عملية في الحياة · هؤلاء ظنوا أن الانسان الملتزم بخط فكري معين والمناضل من أجل تطبيق مباديء هذا الخط في الحياة الاجتماعية ، ليس بحر ولا ديمقراطي · ومن خلال هذه المعادلة الوهمية الخاطئة يستنتجون أن الديمقراطية سيتهددها الخطر ، ان أضحى النظام اسلاميا وأضحت الجماهير تؤمن بالمباديء الاسلامية وتطالب بتطبيقها ! ·

مسألة الجمهورية ـ كما ذكرت ـ ترتبط بشكل النظام المؤطر بنوع من الديمقراطية ، أي القائم ضمن اطار اعطاء الافراد حق تقرير المصير ، ومفهوم الجمهورية هذا لا يعفي الجماهير من التمسك بخط فكري معين والالتزام بمباديء مدرسة معينة ·

ترى ، هل تعني الديمقراطية أن يلتزم كل فرد بخط فكري خاص ، أو أن يتخلى جميع الافراد عن أي التزام بمدرسة فكرية ؟!

ترى ، هل الايمان بمباديء قائمة على أساس العلم والمنطق والفلسفة ، والتسليم لهذه المباديء ، يعارض الديمقراطية ؟!

الاكثرية الساحقة للشعب الايراني تؤمن ايمانا راسخا بمباديء الاسلام ، وليس في هذا الايمان المطلق ذنب ولا عيب ·

لكن العيب أن تسلب هذه الاكثرية الساحقة ، من الاقلية غير المؤمنة ، حق النقد والمناقشة والاعتراض ٠

وهل هذه الاقلية الضئيلة المعارضة تتمتع بالحد الكافي من الحرية ؟ هذا ما نترك الجواب عليه لأولئك الذين يصرون على أن الديمقراطية ترادف عدم الالتزام بمدرسة فكرية !

● ذكرت ان النظام الجمهوري يعني منح جميع الجماهير حق الحاكمية والسيادة ٠ والسيادة الشعبية من معطيات الثورة الدستورية الايرانية في مطلع هذا القرن ، وطرح مسألة (الجمهورية الاسلامية) بدلا من (الجمهورية) بشكل مطلق ، يؤدي الى حكومة طبقة الروحانيين (علماء الدين) ، ألا تعتقد أن هذا يؤدي الى سلب الجماهير حقها في الحكم والسيادة ؟ ألا تعتقد أن من الافضل التمسك بالقاعدة القائلة : ان السلطات الحاكمة تنطلق من الشعب ، بدلا من الخوض في بحوث غامضة ترتبط بالحكومة الاسلامية كمبحث ولاية الفقيه ؟!

أفهم من سؤالك أنك تريد أن تقول : ان الشعب الايراني في ثورته الدستورية ، قد نال حق سيادته الشعبية ، أي حق انطلاق السلطات التقنينية والتنفيذية والقضائية من الشعب ٠ وليس من المعقول أن تفوض الجماهير هذا الحق لشخص أو أشخاص محددين ٠ كما تريد أن تقول أيضا ، ان مفهوم الجمهورية الاسلامية يعني حق حاكمية الفقيه ــ أو استبداد الفقهاء كما يقول بعضهم ــ وهو مفهوم رجعي معارض لسيادة الشعب ٠

من أجل أن أجيب على ما تقول ، لا بد أن أذكر أن الشعب الايراني نال في ثورته الدستورية حق سيادته ، لكن هذا الشعب لم يكن يرى أي تعارض بين نيله هذا الحق ، والتزامه بالاسلام فكرا وعقيدة وقانونا ينظم جميع شؤون الحياة • ولهذا نص الدستور الايراني ، المدون عقب انتصار تلك الثورة ، علـى ضرورة السير في اطار القوانين الاسلامية ، وصرح بأن أي قانون يفقد اعتباره القانوني اذا كان معارضا لقوانين الاسلام ، كما نص الدستور الذي تمخضت عنه الثورة الدستورية الايرانية على ضرورة وجود خمسة فقهاء في مجلس النواب للاشراف على القوانين • ولم يكن يخطر على بال رواد الثورة الدستورية ، ان التمسك بالاسلام والالتزام بالحدود والقوانين الاسلاميـة يعارض الروح الدستورية والروح الديمقراطية ، كما انهم لم يروا معارضة بين الاسلام وبين قدرة مجلس النواب على التقنين لأن القوانين كانت تُسن في اطار المباديء الاسلامية •

المهم أن يكون الشعب هو المنفذ للقانون الذي آمن به وقَبِـله سواء كان الشعب هو الذي سن القانون ، أو أن يكون قد سنه صاحب مدرسة فكرية أو منظر قانوني ، أو أن يكون القانون الذي آمنت به الجماهير قد تلقته عن طريق الوحي الالهي •

يتضح من هذا أن الصفة الاسلامية للجمهورية لا تتعارض مع سيادة الشعب أو مع الديمقراطيـة بشكـل عـام ، والمباديء الديمقراطية لا تتطلب بالضرورة ابتعاد المجتمع عن كل خط فكري ملتزم •

اننا نرى الاحزاب تنتمي الى ايديولوجيات معينة ، ولا تعتبر

هذا الانتماء معارضا لمباديء الديمقراطية ، لكن المسألة حينما تطرح على الصعيد الاسلامي ، يثير بعضهم شكوكا وتساؤلات حول امكان انسجام المفهوم الاسلامي مع المفهوم الجمهوري ٠

أعتقد أن هذه الشكوك والشبهات تُطرح من لدن أفراد لا يزالون يؤمنون بديمقراطية القرن الثامن عشر التي تحدد حقوق الانسان باطار مسائل المعيشة والمأكل والمسكن والملبس وحرية انتخاب طريقة المعيشة المادية ٠ هذه الديمقراطية التي تحذف من دائرة الحقوق الانسانية مسائل الانتماء الفكري والالتزام المدرسي والتكامل الانساني والتحرر من سلطة البيئة والغرائز ٠٠٠

أشرت في أسئلتك الى سلب الجماهير حقها في الحاكمية والسيادة ، وهنا لا بد أن أشير الى حقيقة واضحة كل الوضوح هي : أن الاكثرية الساحقة للشعب الايراني حددت في شعاراتها ومطالبها نوع النظام الذي تريده ٠ لم يتجه كفاح الشعب الايراني ضد التسلط السياسي والاستعمار الاقتصادي فحسب، بل اتجه أيضا الى مقارعة الثقافات والايديولوجيات الغربية ، الى مقارعة التبعية للغرب تحت العناوين المغرية نظير الحرية والديمقراطية والاشتراكية والمدنية والتطور والتقدم وغيرها من العناوين الزائفة التي يلوّح بها الاستعمار وعملاؤه في عالمنا ٠

ان الملايين من أبناء الشعب الايراني حين طالبوا في مظاهراتهم الضخمة الصاخبة باقامة الجمهورية الاسلامية ، قد حددوا في الواقع الاطار الفكري لنظام الحكم الذي يريدونه ٠

الهوية الوطنية لأي شعب من الشعوب تتمثل في التراث الحضاري المتأصل في أعماق هذا الشعب ·

وهذه الهوية الوطنية تتمثل لدى جماهير الشعب الايراني بالاسلام ·

الايرانيون المنفصلون عن الاسلام ، هم في الواقع منفصلون عن الروح الحضارية للشعب الايراني ، وعن ارادة هذا الشعب على الرغم من أنهم يعيشون في كنف هذه الأمة وتحت حمايتها ·

لو كانت ارادة الشعب في اقامة الجمهورية الاسلامية، تتعارض مع السيادة الشعبية ، لكانت الديمقراطية أمرا محالا ، اذ أن وجودها يستلزم عدمها ·

لا أحد يريد فرض الطابع الاسلامي على النظام الجمهوري المقترح في ايران · فتلك ارادة الشعب نفسه · والثورة في ايران بدأت تتصاعد بسرعة فائقة منذ أن طرح شعار الجمهورية الاسلامية ·

مفهوم الجمهورية الاسلامية ينطوي على نفي واثبات · نفي لنظام حاكم فرض سيطرته خمسة وعشرين قرنا ، واثبات محتوى اسلامي وتوحيدي للنظام المقترح ·

طرحت في أسئلتك أيضا ، مسألة ولاية الفقيه ، وهذه المسألة تتضح في ضوء ما ذكرناه ·

ولاية الفقيه لا تعني أن يكون الفقيه على رأس الجهاز الحاكم ، وأن يمارس الحكم بنفسه عمليا ·

دور الفقيه في البلد الاسلامي ــ أي في البلد الذي آمن مواطنوه

بالاسلام باعتباره مدرسة فكرية متكاملة ـ هو دور المنظر (ايديولوك) ، لا دور الحاكم • وواجب المنظر أن يشرف على التنفيذ الصحيح للنظرية ، أن يبدي رأيه في صلاحية الافراد المنفذين للدستور ، وفي صلاحية رئيس الجمهورية ، وفي جميع الاعمال التي تتعلق بتطبيق النظرية الاسلامية •

لم يكن ثوار الحركة الدستورية وأنصارها في ايران تلك الأيام ، ولا الشعب الثائر المسلم اليوم ، يرون في الفقيه حاكما ينبغي أن يتقلد زمام الامور ويمارس الادارة والحكم • بل كانوا يرون فيه الشخص الذي ينبغي أن يبدي وجهة نظره في صلاحية الحاكم المنفذ للقوانين الاسلامية ، باعتبار ان المجتمع اسلامي ، وأن المواطنين يرتبطون بالمدرسة الاسلامية •

من هنا جاء في الحكم الصادر من الامام الى رئيس وزراء الدولة الموقتة : انني أعين رئيس الحكومة ، استنادا الى الحق الشرعي (ولاية الفقيه) ، واعتمادا على الثقة التي أولتني بها الاغلبية الساحقة للشعب الايراني •

ولاية الفقيه ولاية ايديولوجية • والفقيه منتخب من قبل الجماهير ، وهذا عين الديمقراطية •

لو كان الفقيه منصوب من قبل فقيه سابق ، لو كانت السنة أن يعين كل فقيه خلفه ، لأمكن القول ، ان هذه السنة مخالفة للديمقراطية ، لكن المواطنين أنفسهم هم الذين ينتخبون هذا المشرف على تطبيق القوانين •

الحق الشرعي للامام ينطلق من انتماء أغلبية الشعب الساحقة للاسلام باعتباره مدرسة فكرية شاملة ، وهذه الاغلبية تعطي

رأيها فيمن يشرف على التطبيق والمطبقين ·

أشرت في أسئلتك الى حكومة طبقة رجال الدين ، وفي عبارتك خلط بين الحكومة الاسلامية وحكومة رجال الدين · كيف استنتجت من مفهوم الجمهورية الاسلامية ، مفهوم حكومة رجال الدين ؟! هل الاسلام دين طبقة رجال الدين ؟! هل الاسلام ايديولوجية رجال الدين ؟! هل ان مثقفينا – حقا – يفهمون الجمهورية الاسلامية أنها حكومة علماء الدين ، وأنها حكومة يتولى فيها علماء الدين كل مناصب الدولة ؟!

اذا كان فهمهم كذلك ، فهو غريب للغاية ، وان كانوا يفهمون الحقيقة لكنهم يصرون على تزويرها وتحريفها ، فهو مؤسف للغاية ·

ان تلميذ الابتدائية في ايران يفهم اليوم أن الجمهورية الاسلامية تعني المجتمع الاسلامي ، والمجتمع التوحيدي القائم على أساس تصور اسلامي للكون والحياة ·

كل من له أدنى اطلاع على المفاهيم الاسلامية يعلم ان التصور الاسلامي ينطوي على ايديولوجية توحيدية يعبر عنها بالتوحيد العملي · وتعني بلوغ الانسان الى توحيد أخلاقي وتوحيد اجتماعي ·

دأب رسول الله – صلى الله عليه وآله – أن يتوج رسائله الى الشخصيات العالمية بالآية الكريمة :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم ، الا نعبد الا الله ، ولا نشرك

به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من
دون الله ·· » (آل عمران ـ ٦٣) ·

وجملة : « تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » تعني التوحيد النظري ·

وجملة : «أن لا نعبد الا الله» تعني التوحيد العملي الفردي·

وعبارة : « ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » تؤكد التوحيد العملي الاجتماعي ، المقارن للحريةوالديمقراطية بأعمق أشكالهما ·

أين هذا المفهوم العميق للمجتمع الاسلامي من مفهوم حكومة رجال الدين ؟! انه بعيد عنه كل البعد ·

يعتقد البعض ان اطلاق لفظ الجمهورية الاسلامية يضفي الصفة الطبقية على المجتمع ، بينما الاكتفاء بلفظ الجمهورية ينفي هذه الصفة · وهذا الاعتقاد الخاطيء كما قلنا ناشيء عن فهم خاطيء لوظيفة الروحانيين (علماء الدين) في المجتمع الاسلامي ·

ولا بد أن أؤكد في اختتام اجابتي على سؤالك ان لفظ الجمهورية وحده لا يمكن أن يكون منطلق تحول واقعي في المجتمع · كما ان اضافة صفة وقيد الى كلمة الجمهورية ، لا يؤدي بالضرورة الى تناقض بين الصفة والموصوف · بل ينبغي البحث أولا في محتوى هذه الصفة ، والصفة الاسلامية لا تتناقض مع الجمهورية ، ولا تؤدي الى تسلط طبقة معينة في المجتمع الاسلامي ·

● من المعلوم ان الاوضاع الاجتماعية في حالة تطور وتبدل ، فكيف يستطيع نظام الجمهورية الاسلامية أن يحل المسائل المتطورة المعقـدة للمجتمع في المجـالات السياسية والاقتصاديـة والاجتماعيـة وغيرها مـن المجالات • هل ان الجمهوريـة الاسلاميـة ستطبـق القوانين والقواعد التي جاء بها الاسلام قبل أربعـة عشر قرنا ؟! هل ان هذه القوانين والقواعد القديمة قادرة على مواجهة المسائل الراهنة ؟•

ـ تطور الزمن ، وثبات الاحكام الاسلامية ، يثيران دوما هذه الشبهة التي ذكرتها • كيف يمكن أن ينسجم هذا الثابت مع ذاك المتطور •

مسألة تطور الزمن حقيقة ثابتة لا شك فيها ، لكن هـذه الحقيقة تنطوي على مسألة دقيقة يغفل عنها البعض •

المسيرة التي يطويها الفرد الانساني والمجتمع الانساني تشبه مسيرة قافلة متحركة سائرة متنقلة من محطة الى أخرى • هذه القافلة لا تبقى ساكنة وثابتة في محطة معينة ، بل تستمر في السير مغيرة محطاتها ، لكنها لا تغير طريق سيرها في هذا التنقل •

القافلة متحركة ، لا ينبغي لها أن تقف في نقطة معينة من طريقها ، لكن الطريق الذي تطويه نحو هدفها واحد •

الفرد والمجتمع لا يمكن أن يكونا ساكنين ، ولا ينبغي أن يمكثا في نقطة معينة من المسير ، فذلك معارض لقانون الطبيعة• لكن المسير التكاملي للفرد والمجتمع واحد لا يتغير •

ترى هل من الضروري أن يغير الفرد والمجتمع طريقهما التكاملي في كل مرحلة من مراحل حياتهما ؟

هل من اللازم أن ينتخبا في كل مرحلة طريقا جديدا وهدفا جديدا ؟! كلا .. المسيرة التكاملية للبشر ، خط ثابت ، يشبه مدار النجوم .

الحركة مستمرة ، والمدار ثابت . هل نستطيع أن نعتبر النجوم ثابتة ساكنة لأنها تتحرك على مدار ثابت واحد ؟! كلا ، طبعا . حركة النجوم لا تستلزم تغيير المدار باستمرار .

هذه المسألة تطرح بنفس الشكل على صعيد حركة الانسان والمجتمع .

مستلزمات الحياة الانسانية ، ومظاهر المدنية تتطور باستمرار ، ولكن ترى ، هل ان انسانية الانسان والقيم الانسانية ، والكمال الانساني هي الاخرى حقائق متغيرة متبدلة ؟!

هل ان الموازين الانسانية التي نؤمن بها اليوم هي غير الموازين التي كان يؤمن بها أجدادنا ، وغير الموازين التي سيؤمن بها أحفادنا ؟!

هل سيأتي يوم تعتبر فيه البشرية « تشومبي » و «معاوية» مثالا للانسانية ، وتعتبر « لوممبا » و « أبا ذر » مثالا لأعداء الانسانية ؟! هذا مستحيل .

الانسان ــ كما قلنا ــ غير ثابت . لكن مداره ثابت . ومن هنا فهو يمتلك معايير هي بمثابة دلالات لطريقه . فكما ان

المسافر يحتاج الى علامات ودلالات كي لا يضل الطريق ، كذلك الانسان بحاجة الى معايير ثابتة يهتدي بها في مسيره ·

أوضحت في كتاب (حقوق المرأة في الاسلام) مسألة الاسلام والتطور ، وكيف يواجه الاسلام متطلبات الحياة المتطورة ·

ذكرت هناك أن (نوع) الانسان لم يتغير منذ أن ظهر على ظهر الارض ، وعدم تبدل الموجود البشري من نوع الى آخر لا يعني ثبات هذا الموجود في نقطة معينة ، بل انه طوى ولا زال يطوي مسيرته التكاملية · لكن قانون الخلقة يبدو قد نقل مهمة التكامل من مرحلة الجسم واعضاء البدن الى مرحلة النفس والروح والمجتمع ·

لو ان تغيرا طرأ على النوع الانساني لاستلزم تغيرا في القوانين التي تتحكم فيه ·· لكن ثبات النوع الانساني خلال المراحل التاريخية الاخيرة ـ على الاقل ـ يتطلب بالضرورة مجموعة مباديء ثابتة ترتبط بطبيعة الانسان وكماله · على أن الانسان يحتاج أيضا الى قوانين متغيرة تسد احتياجاته المتطورة خلال انتقاله من محطة الى أخرى ، أو من مرحلة الى أخرى خلال مسيرته التكاملية ·

الانسان يحتاج ـ اذن ـ الى قوانين ومباديء ثابتة ترتبط بحركته المدارية ، والى قوانين متغيرة ترتبط بتنقله المرحلي ·

أحكام الاسلام موضوعة لحركة الانسان المدارية الثابتة ، لا المرحلية المتغيرة · غير أن الاسلام أعد المقدمات والتمهيدات والأطر اللازمة لسد احتياجات الانسان المتغيرة ·

شرحت في كتابي المذكور خصائص القوانين الثابتة والمتغيرة في الاسلام بذكر بعض الامثلة ٠

أمر الله تعالى الجماعة المسلمة أن تعد نفسها دفاعيا الى المستوى الذي يخشاها فيه الأعداء :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » ٠
(الانفال ــ ٦٠) ٠

هذه الآية تحدد واحدا من المباديء الاجتماعية الاسلامية ، وهو مبدأ ثابت لا يتغير ، وضرورته قائمة في الماضي والحاضر والمستقبل ٠

التطبيق العملي لهذا المبدأ ينعكس في السنة النبوية بشكل حث من الرسول القائد على السبق والرماية ، واشترك الرسول (ص) بنفسه في هذه العمليات والمسابقات ٠ والفقه الاسلامي أوصى بالسبق والرماية أيضا انطلاقا من السنة النبوية ٠ لكن هذا الحكم الفقهي لم يعد له مصداق حاليا ، اذ أن زمانه قد مضى ، وليس من الضروري القيام بتلك العمليات اليوم بنفس النية السابقة ٠

مبدأ « وأعدوا لهم ٠٠ » يرتبط بمدار حركة الانسانية ، والسبق والرماية ليس لهما أصالة ، بل يرتبطان بمرحلة معينة من مراحل المسير ، وفي مرحلتنا الراهنة ، ينبغي للمجموعة المسلمة أن تنفذ هذا المبدأ بشكل يتناسب مع ظروف هذه المرحلة ومتطلباتها ٠

ومثال آخر يرتبط بمبدأ تبادل الثروة بين المسلمين أوضحته الآية الكريمة :

« لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ٠٠ »
(البقرة ، ١٨٨) ٠

هذه الآية تنص على أن تبادل الثروة ينبغي أن يتخذ شكلا مفيدا من الناحية الاجتماعية ، وأن يتجه نحو تلبية الاحتياجات الاساسية للمجتمع ٠

لو أراد شخص أن يشتري بماله ، الذي اكتسبه عن طريق عمل مثمر ، شيئا لا فائدة فيــه ، كأن يشتري كيســا مملوء بالحشرات الميتة ، فان هذه الصفقة باطلة في نظر القرآن ٠

ولو استطاع العلم في تطوره أن يستفيد من هذه الحشرات ، فان عملية البيع تصبح صحيحة بعد أن كانت باطلة ومحرمة من قبل ٠

الفقيه هو الذي يعين المصداق الواقعي للحكم الذي تنص عليه الآية في كل زمان ٠ وبموجب هذا التشخيص يفتي بجواز هذه المعاملة وببطلان تلك ٠

الفقهاء واجهوا مسألة شبيهة بالمسألة السابقة ترتبط ببيع (الدم) وشرائه ٠ لقد كانت معاملة بيع الدم وشرائه باطلة في الماضي ، يوم كان الدم مادة لا نفع فيها ولا فائدة ، اذ هي من نوع أكل المال بالباطل ٠ واليوم فقد أضحى الدم ـ على أثر تطور العلم ـ مادة حياتية ، ولم تعد المعاملة عليه تنطبق على أكل المال بالباطل ٠ فالحكم الجزائي هنا قد تغير بتغير المصداق ٠ لكن الحكم الكلي باق لا يتغير ٠

الاجتهاد ينهض بالدور الاساسي في تطبيق الاحكام الكلية على المصاديق الجديدة • وواجب الفقيه أن يدرس المسائل الجزئية المتغيرة بتغير الزمان ، في اطار الاحكام الكلية الثابتة التي جاء بها الوحي ، ويخرج من دراسته بالأحكام الفقهية المناسبة •

● لقد أوضحت في حديثك أن النظام الاسلامي يقوم على أساس المبادىء العامة المستمدة من الوحي • والمسألة المطروحة بشكل حاد على الساحة الفكرية اليوم هي أن النظام الاصلح للبشرية يمكن ايجاده عن طريق تركيب بين الديمقراطية والاشتراكية •

ونحن ، باعتبارنا شرقيين مسلمين ، نستطيع أن نثري النظام الديمقراطي الاشتراكي عن طريق تطعيمه بقيم أخلاقية مستمدة من تراثنا الاسلامي ، فما هو رأيكم بهذه الاطروحة ؟

بين الديمقراطية والاشتراكية نوع من التناقض وعدم الانسجام • ولم تنجح ــ حتى الآن ــ المحاولات الرامية الى الجمع بينهما •

الديمقراطية تقوم على أساس أصالة الفرد وحقوق الفرد وحرية الفرد ، بينما تقوم الاشتراكية على أساس اصالة المجموع وتقدم حق المجتمع على حق الفرد •

في عالمنا اليوم ترفع بعض البلدان شعار الديمقراطية ، وبعضها يرفع شعار الاشتراكية ، لكن ذوي التفكير الجاد البعيد

عن الشعارات يذهبون الى زيف ادعاءات الديمقراطية التي يتبجح بها ما يسمى بالعالم الحر · وكذلك زيف الاشتراكية التي يدعيها القطب الآخر · ويبلغ هذا الزيف ذروته حين تدعي بعض البلدان انتهاجها نظاما اشتراكيا ديمقراطيا !

مسألة التناقض بين الاشتراكية والديمقراطية ، والاتجاه نحو أحدهما ، أو محاولة الجمع بينهما تطرح على الصعيد الفلسفي تحت عنوان : (أصالة الجمع أو أصالة الفرد) ·

أتباع هذين الاتجاهين يسعون الى الاجابة على هذا السؤال : هل الفرد يختص بالأصالة والعينية ، والمجموع وجود عرضي واعتباري ؟ أم ان الفرد يفتقد الأصالة ، وعلم الاجتماع مقدم على علم النفس ؟

اذا كان الجواب على الشطر الاول من السؤال ايجابيا فان ذلك يعني تقدم الديمقراطية على الاشتراكية ، ورجحانها عليها ·

واذا كان الشطر الثاني من السؤال ايجابيا ، فيعني ان كل ما يمتلكه الانسان من أفكار ومشاعر وآمال انما هي انعكاس عن الروح الاجتماعية المهيمنة ، والموجود فعلا ، هو المجتمع لا الفرد · والأولوية في هذه الحالة للاشتراكية ·

وهل هناك فرع ثالث لهذه المدرسة يتجه الى تركيب الفرد والمجتمع تركيبا يمنح الفرد والمجتمع كلاهما أصالة وشخصية ؟ هذه مسألة فلسفية دقيقة ، يدرس فلاسفتنا نظيرها في باب الوحدة والكثرة ، ولا مجال لطرحها الآن ·

ومسألة القيم الخلقية التي أشرت اليها ، هي أهم المسائل

المطروحة أمام الباحثين عن النظام الافضل • هؤلاء الذين يحاولون الجمع بين الديمقراطية والاشتراكية يحسون ان اطروحتهم بحاجة الى قيم أخلاقية • والقيم الخلقية بحاجة الى الجو الخلقي والروحي ، فكيف يمكن خلق مثل هذا الجو ؟ وما هي ضمانات تطبيق القيم الخلقية ؟•

بعض الباحثين في الانظمة الوضعية ، يحاول الفصل بين الدين والقيم الخلقية ، في محاولة لايجاد نظام أرضي أخلاقي •

وهؤلاء يحاولون البحث عن مُثل خلقية بدون دين ، زاعمين ان هذه المثل تستطيع أن تجمع أفراد البشر على صعيد انساني واحد مشترك دون تمايز مذهبي أو عنصري ، بينما الدين يؤدي الى اثارة عصبيات ومناحرات بين أتباعه وغيرهم ، وهذه العصبيات تتناقض مع سلامة الروح ومع الجو الخلقي الذي ينبغي أن يسود في المجتمع •

وهذه هي دعوة أتباع المذهب الانساني أو (الهيومانية) التي تنادي بعالم خلقي روحي خال من الدين •

أتباع هذه الدعوة خالوا أن الاجواء الخلقية يمكن خلقها عن طريق اطلاق الشعارات الانسانية وحبك مباديء الهيومانية !•

شعارات الهيومانية أثبتت زيفها وخواءها على الصعيد العملي ، وموقف جان بول سارتر ـ داعية الهيومانية في عصرنا ـ من اسرائيل ، ذلك الموقف المتعاطف المؤيد ، أفضل شاهد على هذا الزيف والخواء •

ثمة مجموعة أخرى حاولت أن تطعم اطروحتها في حقل النظام ، بجوانب أخلاقية وانسانية عرفانية • وسعت أن تقتبس

من الجانب العرفاني للاديان التعاليم الاخلاقية ، تاركة تصورات الأديان ومحتواها الايديولوجي .

وهنا ينبغي أن أؤكد أن الالتزام بالجانب الخلقي للاديان وترك جوانبها الاخرى ، لا يمكن على الاطلاق في الاطار الاسلامي ، ان أمكن تنفيذه في اطار الاديان الاخرى .

عملية فصل الجانب الخلقي عن جوانب الاسلام الاخرى مُثلة للاسلام ، ومسخ له . فالاسلام اطروحة منسجمة مترابطة لكل جوانب الحياة .

بالنسبة لما أشرت اليه في حديثك حول حاجة البشرية الى النظام الاصلح ، أكتفي بذكر عبارة قالها (اقبال) :

« البشرية تحتاج اليوم الى ثلاثة أمور : الى تفسير روحي للعالم ، والى حرية روحية للفرد ، والى مباديء أساسية ذات مفعول عالمي تدفع المسيرة البشرية نحو التكامل على أساس روحي » .

واقبال في عبارته هذه يؤكد على حاجة البشرية الى نظرة الهية للكون والحياة .. والى ديمقراطية واقعية حقيقية والى نظام شامل يقوم على أساس تلك النظرة الالهية ويعين للبشرية طريقها التكاملي في جميع جوانب الحياة .

ثم يستمر اقبال في حديثه على هذا النحو :

« مثالية أوروبا لم تدخل الحياة الاجتماعية بشكل عامل حيوي ، ونتج عن ذلك الانسان الحائر بين الديمقراطيات المتضاربة وهو يبحث عن ذاته ، حيث اتجهت تلك الديمقراطيات

نحو استثمار الفقراء لصالح الاغنياء ...

ومن جهة أخرى ، يمتلك المسلمون أفكارا ومعتقدات سامية متكاملة تقوم على أساس الوحي . وهذه الافكار والمعتقدات تنطلق من أعماق الحياة لتضفي على ظواهر الحياة صفة باطنية . الانسان المسلم يؤمن بالأساس الروحي للحياة كأمر اعتقادي ، وهو على استعداد لأن يبذل روحه رخيصة في سبيل هذا الاعتقاد » (١) .

● أعلن الامام في احدى خطبه : اني أدلي صوتي « للجمهورية الاسلامية » لا كلمة أكثر ، ولا كلمة أقل . ويبدو أن الامام يقصد الصفة الاسلامية في عبارته « لا كلمة أقل » ، وأوضحت في حديثك أن هذه الصفة توضح محتوى نظام المستقبل . أما ما يقصده الامام من عبارة « لا كلمة أكثر » فهو ـ على ما يظهر ـ كلمة الديمقراطية ، فقد ترددت على الألسن هذه الايام عبارة «الجمهورية الاسلامية الديمقراطية» وتأكيد الامام على حذف كلمة الديمقراطية قد يستهدف توضيح الفرق بين الديمقراطية الغربية والحريات الاسلامية .. نرجو أن تعطينا فكرة واضحة عن سبب حذف كلمة الديمقراطية .

ـ لا أستطيع أن أدعي القدرة على توضيح جميع الجوانب

---

(١) احياء الفكر الديني في الاسلام ، اقبال اللاهوري ، ص ٢٠٣ـ٢٠٤ ، من الترجمة الفارسية .

التي ينطلق منها الامام في حديثه ، فأكتفي بتوضيح بعض الجوانب التي توصلت اليها ، والتي أعلم أنها رأي الامام أيضا في هذا المجال ٠

الحرية الفردية والديمقراطية موجودتان ـ كما تعلم ـ في الاسلام ، مع فارق بين النظرة الاسلامية والنظرة الغربية لمفاهيم الحرية والديمقراطية ، كما سنوضح ذلك ٠

من هنا نفهم ان اضافة كلمة « الديمقراطية » الى «الجمهورية الاسلامية» تحشية زائدة ٠

اضافة الى ذلك ، فان الحريات الفردية والديمقراطية التي سيتمتع بها الافراد في ظل نظام الجمهورية الاسلامية ، قد لا تعتبر في نظر بعض الافراد منبثقة من الصفة الاسلامية للجمهورية ، بل من الصفة الديمقراطية لها ٠

عبارة « الجمهورية الاسلامية الديمقراطية » تعني أن النظام يستند الى أساسين : الاسلام ، والديمقراطية ٠ كما قد يفهم منها ان الحريات والحقوق الفردية والديمقراطية تنبثق من الاساس الديمقراطي للنظام ، لا من الاساس الاسلامي ٠ بينما أحكام العبادات والمعاملات والاحوال الشخصية تنبثق من الاساس الاسلامي للنظام ٠

نحن نريد أن نؤكد على خلاف ذلك ٠

والسبب واضح :

أولا ـ لأن الصفة الاسلامية تنطوي على الحريات الفردية والديمقراطية ٠

ثانيا ــ لأن الحريات الديمقراطية بمفاهيمها الغربية ، تختلف اختلافا جذريا مع مفاهيم الحريات الاسلامية • وهذا الاختلاف الجذري لا يمكن أن نتجاهله في بناء مجتمعنا الاسلامي •

حول منشأ الحريات والحقوق الفردية قيل : ان الانسان خلق حرا وينبغي أن يعيش حرا •

وبشأن جذور هذه القضية ، وسبب عدم صدقها على البهائم مثلا ، تختلف وجهات النظر •

الفلسفة الغربية تذهب الى أن الحرية ناشئة من رغبات الانسان وميوله • وهذه الفلسفة لا تفرق بين ارادة الانسان وميوله • وتنظر الى الفرد باعتباره موجودا ذا ميول ورغبات ، وهذه الميول والرغبات هي منشأ حرية الفرد في ظل النظام الذي يريده • حرية الفرد لا يحدها شيء ــ في نظر فلاسفة الغرب ــ سوى حرية رغبات الآخرين • ولا يمكن لأية أطر وموازين أخرى أن تحد حرية الانسان وميوله •

الحرية بهذا المعنى المشهود في الغرب هي أساس الديمقراطيات الغربية ، وهي ليست في الواقع سوى نوع من الحيوانية مطلقة العنان •

التفسير الغربي لمنشأ الحرية ، لا يستطيع أن يميز بين حرية الانسان وحرية الحيوان • الموجود البشري مع حيوانيته انسان ومع انسانيته حيوان •

الكائن البشري يتمتع بملكات سامية هي ملاك انسانيته ، ومن مظاهر هذه الملكات ، التفكير المنطقي (لا كل ما يسمى

تفكير) ، والميول السامية (كالميل نحو اكتشاف الحقائق ، ونحو الخير الخلقي ، ونحو الجمال ، ونحو عبادة الحق ...) .

الكائن البشري موجود تنطوي طبيعته على قطبين متناقضين هما العقل والنفس ، أو الروح والجسم . ومن المستحيل أن يستطيع الانسان الانطلاق بحرية تامة على كلا الخطين المتناقضين . التقدم على أحد الخطين يؤدي بالضرورة الى تحديد الانطلاق الحر على الخط الآخر .

لو اعتبرنا ميول الانسان ورغباته ، أساس الحرية ومنشأها، لنتج عن ذلك ما هو مشهود اليوم في مهد الديمقراطيات الغربية، حيث توضع القوانين استنادا الى رأي الاكثرية .

انطلاقا من هذا الاساس ، واحتراما للديمقراطية ورأي الاكثرية ، يضحي الشذوذ الجنسي قانونيا هناك . الدليل الوحيد لمشروعية هذا العمل المنحط هو رأي الاكثرية . فما دامت أكثرية الشعب دلت عمليا على موافقتها على الشذوذ الجنسي ، فان هذا العمل يضحى قانونيا بحكم الديمقراطية .

لو طرحنا على حماة الديمقراطية الغربية هذا السؤال : أليس للانسان صراط مستقيم يؤدي به الى التكامل الروحي ؟ اذا كان جوابهم ايجابيا ، لاستلزم أن يقبلوا ضرورة وجود مراقبة وتوجيه لصيانة الانسان من الانحراف عن هذا الصراط المستقيم .. لكن جوابهم سلبيا ، أي أنهم يرفضون وجود مثل هذا الصراط ، ويعتبرون ميول الانسان ورغباته هي التي تحدد معالم مسيرته . هؤلاء يتبعون نظرية (جحا) الذي قيل له : أين تذهب ؟ أجاب : الى حيث شاءت بغلتي .

والمجتمع القائم على أساس موازين الديمقراطية الغربية يتجه الى حيث شاءت رغبات الاكثرية وميولها ٠

الديمقراطية الاسلامية تقع في النقطة المقابلة لهذا النوع من الديمقراطية والحرية ٠

الديمقراطية الاسلامية تقوم على أساس حرية الانسان ٠ لكن هذه الحرية لا تعني اطلاق عنان شهوات الانسان ، بل تعني كسر جميع القيود والأغلال التي تحد الانسان من الانطلاق على طريق انسانيته ، مع تأطير وتحديد لدوافعه الحيوانية ٠

وهنا لا بد أن أؤكد أن السلام ليس بدين كبح الشهوات واماتتها ، بل دين تأطير الشهوات وتنظيمها والسيطرة عليها ، وهذه مسألة واضحة لا تحتاج الى تفصيل ٠

لأضرب مثالا على الفرق بين الحرية في مفهوم الديمقراطية الغربية والحرية في المفهوم الاسلامي ، وأترك الحكم لك كي ترى أي الحريتين هي الواقعية والحقيقية ٠

يذكر التاريخان الملك (كوروش) ــ مؤسس أول امبراطورية ايرانية ــ حين فتح بابل ، ترك أهلها أحرارا في عقائدهم وعباداتهم ٠ ترك عبدة الأوثان يلوذون بأصنامهم وعبدة الحيوانات يتمسحون بأنصابهم ، دون أن يفرض عليهم أي حدود أو قيود ٠ وكوروش هذا يعتبر في معيار الغرب أحد رواد الحرية في التاريخ ٠ اذ انه احترم ميول الناس ورغباتهم ٠

والتاريخ ذكر لنا أيضا موقف (ابراهيم الخليل) من معتقدات شعبه ٠ كان ابراهيم يرى في هذه المعتقدات المنحطة قيودا وسلاسل تكبل الافراد ٠ وما كان موقفه تجاه معتقدات قومه

موقف عدم الاحترام فحسب ، بل موقف المحطم للأصنام والآلهة الكاذبة ، وموقف المنبه لهم بزيف هذه الاصنام وخوائها حين عمد الى وضع الفأس في عنق كبير الاصنام ·

عمل ابراهيم ـ في معيار الديمقراطية الغربية ـ عمل عدواني مخالف لمباديء الحرية · اذ أن ابراهيم كان ينبغي أن يدع قومه أحرارا فيما يعبدون ويعتقدون · غير ان منطق الانبياء يختلف عن منطق الانسان الغربي المعاصر ·

خذ مثالا آخر من عمل النبي ـ ص ـ حين ورد مكة · هل كان موقفه كموقف كوروش ؟ هل ترك أهل مكة يلوذون بلاتهم وهبلهم ويعكفون على أصنامهم ؟ هل ترك الناس وشأنهم لينتخبوا أي طريق يشاؤون ؟ أم انه عمد الى تحطيم الاصنام ليحررهم من اصرهم والأغلال التي كانت في أعناقهم ، وليهب لهم الحرية الحقيقية ؟

الحرية والديمقراطية تقومان ـ في نظر الاسلام ـ على أساس ما يفرضه التكامل الانساني للموجود البشري · الحرية حق للانسان بما هو انسان · حق منبثق من المؤهلات الانسانية للانسان ، لا من ميوله وأهوائه ·

الديمقراطية ـ في نظر الاسلام ـ تعني الانسانية المنطلقة ، بينما تعني ـ في قاموس الغرب ـ حيوانية منطلقة ·

وثمة سبب آخر لتأكيد الامام على حذف كلمة الديمقراطية من تسمية النظام المقترح في ايران ، هو رفض التقليد الأعمى للموازين الغربية · الامام لا يريد لشعبه أن ينبهر بالغرب ويلهث وراء فتات حضارته · فهذا يؤدي في النهاية الى ضعف معنويات الشعب والى سقوطه ·

الامام يعتقد ان استعمال كلمة الديمقراطية في تسمية النظام خيانة لروح الاستقلال لهذا الشعب ، اذ أن تراثنا ينطوي على جوهر الحرية ، ولا حاجة لأن نمد يد التكدي الى الآخرين ٠

● كيف تفسرون ثورة ايران ؟ ما هي الخصائص التي تمتاز بها هذه الثورة ؟٠٠ ماذا تعني الصفة الاسلامية للثورة ؟٠

ـ ٠٠٠٠٠٠ (١) السؤال المطروح على صعيد الثورات

---

(١) يشرح الاستاذ الشهيد في مقدمة اجابته المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة (انقلاب) التي تستعمل في معنى (الثورة) باللغة الفارسية .

فالمعنى اللغوي ينطوي على جانبين : سلبي ، جاء في الاية الكريمة : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفأن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ؟! (ال عمران ، ١٤٤) .

وايجابي ، ورد في الاية : فانقلبوا بنعمة من الله وفضل .. (آل عمران ، ١٤٧) .

اما في الاصطلاح ، اتخذت الكلمة في الفقه والفلسفة وعلم الاجتماع معاني مختلفة ...

ثم يذكر الاستاذ ان (الانقلاب) فردي واجتماعي . والفردي : حيواني وانساني . كالتغيير الفجائي الذي يحصل في نفس بعض الافراد لينتج عنه اندفاعا محموما وراء طلب الجاه والشهرة والاستزادة من الشهوات ، وكالحب باعتباره تغييرا في المحتوى الداخلي للافراد ، وكالتوبة باعتبارها ثورة ضد الذات المنحرفة الظالمة .. ثورة النزعة المتسامية ضد نزعة الهبوط والانحدار ..

ثم يبدأ بالحديث عن (الانقلاب) الاجتماعي ، وهنا تدور الاجابة عن معنى (الثورة) بالذات ..

ولما كان حديث الاستاذ عن كلمة (انقلاب) في هذا المجال يختص باللغة الفارسية ، فقد آثرنا عدم ترجمته الى القارىء العربي . (المترجم) .

الاجتماعية هو : هل ان الثورات ذات ماهيات مختلفة ، أم ان أشكالها ومظاهرها هي المختلفة ، وماهياتها واحدة ٠

ثمة اتجاهان مختلفان في الاجابة على هذا السؤال ٠ الاتجاه الاول : يرى ان جميع الثورات ذات مبدأ واحد ومنطلق واحد ، وهو عبارة عن انقسام المجتمع الى طبقتين مرفهة ومحرومة ، مستثمِرة ، ومستثمَرة ٠ وهذا الانقسام الطبقي يعود بدوره الى وسائل الانتاج ، والى علاقات التوزيع والانتاج ٠ وهذا الاتجاه يرى جميع ما في المجتمع من دين وفن وفلسفة انما هو مرتبط بوسائل الانتاج ، وبتطور هذه الوسائل ٠

الاتجاه الثاني : يذهب الى أن الثورات ذات ماهيات مختلفة ، ويرفض أن تكون جميع الثورات الاجتماعية ناشئة عن التناقض الطبقي في الاطار الاقتصادي ٠ ويرفض أن تكون قيادة الثورات دوما بيد الطبقة المحرومة اقتصاديا ٠ بل يعطي هذا الاتجاه دورا أساسيا لطبيعة الانسان المنطوية على قطبين متناقضين ، ويعتقد أن انقسام المجتمع الى قطبين متصارعين ناشيء عن القطبين المتصارعين في النفس الانسانية ٠

كما ان الاتجاه الثاني ــ مع ايمانه بالتأثير المتبادل بين المرافق الاجتماعية ــ يرفض أن يكون تأثير أحد هذه المرافق قادرا على الوقوف بوجه تطور سائر المرافق الاخرى ٠ أي ان المجتمع قد يمر بمرحلة تاريخية متطورة جدا من الناحية الدينية أو الخلقية أو الفلسفية مع تأخره في الناحية التكنولوجية ٠ وهذه المسألة ترتبط بالظروف الجغرافية والوراثية من جهة ، وبالبعد الالهي والمعنوي للتاريخ من جهة أخرى ٠ في كتابنا « نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ » أطلقنا على الاتجاه

الاول اسم « الاتجاه الآلي » وعلى الاتجاه الثاني اسم « الاتجاه الفطري ، أو الانساني » .

استنادا الى الاتجاه الثاني :

أولا ــ الجانب النفسي للانسان مقدم على الجانب الاجتماعي .

ثانيا ــ الانسان ينطوي في خلقته على قطبين متصارعين .

ثالثا ــ الانسان موجود مختار ذو ارادة حرة ، وصفة الاختيار والحرية هي التي تميز بين أفراد البشر .

رابعا ــ المرافق الاجتماعية للانسان تتمتع بنوع من الاستقلال . وليس لأحدها تقدم وأولوية مطلقة على المرافق الأخرى . وقد يؤدي أحيانا تطور أحد هذه المرافق الى انحطاط الآخر . وفي هوامش الجزء الخامس من كتاب « أصول فلسفة وروش رئاليسم » (١) ذكرت حيث تحدثت عن (فطرة البحث عن الله) ، ان الانغماس في اشباع غريزة معينة قد يؤدي الى تأخر غريزة أخرى . ومن هنا ، فلا عجب أن يكون العالم المتطور علميا وتكنولوجيا ، والمتمتع بأنواع اللذائذ المادية ، منحطا في أخلاقه وفي قيمه المعنوية ، وهذا الانحطاط سيؤدي دون شك الى سقوط كلي تام .

خامسا ــ انطواء الانسان على قطبين متناقضين يؤدي الى

---

(١) كتاب « أصول فلسفة وروش رئاليسم » : مبادىء الفلسفة ومنهج الواقعية ، للعلامة الكبير محمد حسين الطباطبائي ، والاستاذ الشهيد اضاف الى الكتاب شروحا وهوامش هي اعمق ما خلفه ــ رضوان الله عليه ــ من بحوث فلسفية (م) .

حرية الانسان والى اختلاف مستوى انسانية أفراد البشر ، كما يؤدي ـ اضافة الى ذلك ـ الى انقسام المجتمع الى قطبين متناقضين، قطب يسير على طريق التكامل الايماني والعقائدي والخلقي ، وقطب منحط حيواني يعيش من أجل بطنه وفرجه ٠

سادسا ـ التكامل يعني الاستقلال عن مؤثرات البيئة الطبيعية ، والسيطرة عليها ، والتربية الذاتية ، والاعتماد على النفس ٠

سابعا ـ حركة تكامل التاريخ تتجه نحو (الحق) ونحو الارتباط بالعقيدة والايمان والاهداف السامية ، والتحرر من سلطة البيئة الطبيعية والاجتماعية والعوامل النفسية ٠

نستطيع ـ في الحقيقة ـ أن نلخص الاتجاه الثاني بما يلي :

أولا : الانسان مفطور على أن ينشد الكمال والتطور ٠

ثانيا : القيم الانسانية أصيلة بأجمعها ، وذات جذور متعمقة في الطبيعة الانسانية ٠ وهذه القيم هي نفسها العامل الاساسي في حركات التاريخ ٠

الانسان ـ على المستوى الفردي ـ يعيش صراعا دائبا في أعماقه بين قطبين ، قطب الانسانية ، وقطب الحيوانية ٠وحركة الانسان تتجه ، من خلال هذا الصراع ، نحو التكامل بالتدريج ٠ ومن مستلزمات التكامل ، الاستقلال عن تأثير المحيط الخارجي والتأثير المتزايد في هذا المحيط ٠ ومن هنا فالانسان المتكامل موجود متحرر من المحيط الخارجي والداخلي (نقصد بالمحيط الداخلي ، قطب الحيوانية في ذات الانسان) ٠

الجانب النفسي للانسان مقدم على جانبه الاجتماعي . والانسان ليس بشريط تسجيل خال يمكن الاملاء عليه ما نشاء ، وليس بمادة خام تتصيّر طبقا لتأثير العوامل الميكانيكية الخارجية . الانسان كالغرس وكالبذرة . حركته نحو الكمال ونحو الاستقلال الانساني حركة ديناميكية لا ميكانيكية . التكامل من مستلزمات العناصر الحرة في الطبيعة بما فيها الانسان والتاريخ الانساني .

طبيعة التاريخ ليست بطبيعة مادية محضة ، بل طبيعة مزدوجة ، وكذلك طبيعة الانسان .

التاريخ ليس بحيوان اقتصادي ، وهكذا الانسان . وهذه الازدواجية في طبيعة الانسان لا تتنافى مع خصلة الحركة التكاملية التي تنطوي عليها ذات الطبيعة .

مما تقدم نفهم أن الثورات ليست بذات صفة اجتماعية محضة ، بل ذات جذور تمتد الى طبيعة الانسان .

الصراع الداخلي في الانسان يؤدي الى تكامل واستقلال بعض أفراد البشر ، وهذا بدوره يؤدي الى صراع بين الافراد المؤمنين الملتزمين العقائديين ، والافراد المنحطين الراسفين في أغلال الحيوانية .

وهذا الصراع هو الذي يعبر عنه القرآن الكريم بالصراع بين الحق والباطل .

الاتجاه الآلي لتفسير التاريخ يذهب الى أن عامل الحركة في التاريخ هو الطبقة المسحوقة اقتصاديا ، وان غايتها هو تأمين المصالح المادية ، وأساسها تطور وسائل الانتاج ، وطريقتها

اثارة الفوضى والاضطرابات • كما ان هذا الاتجاه ينفي اصالة الوجدان الانساني ويعتبره تابعا للمصالح الاقتصادية •

أما الاتجاه الفطري أو الانساني فيرفض أن يكون عامل الثورة منحصرا بالطبقة المسحوقة اقتصاديا • ويرفض أن تكون الغاية مادية دوما • كما يرفض ما يذهب اليه الاتجاه السابق في تفسير أساس الحركات وغاياتها • ويرى أن العامل في بعض الثورات كالثورات الدينية والفنية والخلقية والعلمية لا يقتصر على الطبقة المسحوقة اقتصاديا ، والغاية فيها هي القيم الانسانية أحيانا ، كما ان أساسها هو الميل الذاتي للانسان نحو طلب الحق والحقيقة ، والطريقة فيها أحيانا الوقوف بوجه التلاعب بالقانون ومعارضة الخروج عن المباديء القانونية ، (قارن بين الاتجاهين !) •••

الهدف في الثورات ـ استنادا الى النظرية الفطرية ـ قد يتجاوز اطار المسائل الرفاهية والمعيشية ، ويتخذ صفة عقائدية • وقد تأبى الطبقة المحرومة أن تضفي على مظاهراتها واضراباتها صفة مادية اقتصادية ـ كما حدث في ايران خلال الثورة ـ كما ان القيادة قد تطرح على الساحة شعارات لا تنحصر في النطاق الاقتصادي ، بل تتجاوز هذا النطاق لتتخذ صبغة الآمال الانسانية والمعتقدات السامية (١) •

من أجل تحليل ثورة ايران ، ودراسة مدى انطباقها على

---

(١) ما ذكره الاستاذ الشهيد عن اتجاهي تفسير التاريخ ، هو موجز لما ذكره بالتفصيل في كتاب « نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ » ، هذا الكتاب ترجمناه الى العربية ، وطبعته « المكتبة الاسلامية الكبرى » (م) •

النظريتين المذكورتين ، ينبغي دراسة الثورة في الحقول التالية :

١ ـ دراسة الافراد والمجموعات التي حملت أعباء الثورة ٠

٢ ـ البحث عن العلل والجذور التي أسهمت في تفجير الثورة ودفعها ٠

٣ ـ دراسة الاهداف التي توختها الثورة ٠

٤ ـ دراسة الشعارات التي وهبت الحياة والحركة لثورة الجماهير ٠

٥ ـ تحليل دور القائد وتكتيك القيادة ٠

٦ ـ دراسة شمول الثورة واتساع نطاقها الشعبي ٠

أما الجذور ، فيمكننا أن نبحث عنها في أحداث السنوات الخمسين الاخيرة ومنها :

استبداد الاستعمار الجديد ، وفصل الدين عن السياسة ، والدعوة للعودة الى عصر ما قبل الاسلام ، وتحريف التراث الاسلامي ، والمذابح الوحشية ، والتفاوت الطبقي ، وسيطرة العناصر غير الاسلامية على المسلمين ، والنقض الصريح للقوانين الاسلامية ، ومكافحة الادب الفارسي الاسلامي بحجة مكافحة الألفاظ الاجنبية ، والعزلة عن الشعوب الاسلامية وتوطيد العلاقة مع أعداء المسلمين كاسرائيل ، والدعايات الماركسية ٠٠٠ الخ ٠

بعض هذه الجذور ذات صفة مادية ، وبعضها الآخر مرتبط بجرح المشاعر الانسانية ، وقسم آخر ـ وهو ما له السهم الأوفى ـ يرتبط بجرح المشاعر الاسلامية ٠

وينبغي أن نضيف الى تلك العلل والعوامل عاملين آخرين : الأول فشل الليبرالية الغربية • والثاني : تبدد الآمال في الاشتراكية الشرقية • وهنا يبرز دور وعي شعبنا المسلم في العودة الى أصالته وفي احساسه بكرامته الذاتية وفي موقفه من تراثه وفلسفته •

المسألة الاساسية هي القضية الاسلامية لشعبنا ، الروح الأسلامية والهوية الاسلامية لشعبنا برزت بشكل واضح وجلي في الصراع الاخير الذي خاضه الشعب الايراني • وهذا الوعي الاسلامي غير منفصل عن الوعي الاسلامي العام في العالم الاسلامي • فالشعوب الاسلامية بدأت تبحث عن هويتها الواقعية بعد أن يأست وخابت آمالها من اطروحات الشرق والغرب •

المسلمون اجتازوا مرحلة من الذوبان وفقدان الشخصية ، وها هم اليوم يعودون الى أصالتهم • ومع هذه العودة تبدو في الأفق طلائع ولادة عالم ثالث يتحدى الشرق والغرب •

تحليل ماهية هذه الثورة لا ينفصل عن تحليل قيادة الثورة • لماذا أضحى الامام الخميني قائدا مطلقا بحيث اضطرت الاقطاب المخالفة أن تنضوي تحت لوائه ؟ لماذا هذا التأثير الكبير الذي أحدثته نداءات الامام الخميني وبياناته ؟ لِم كانت بيانات الامام تنتشر في ايران كانتشار النار في الهشيم على الرغم من الاخطار التي كانت تواجه كل من يسعى في نشر هذه البيانات ؟

نعم ، لا شك أن شخصية الامام ، وما يتمتع به من صمود لا حد له في وجه الظالمين من أجل نصرة المظلومين ، وما يتحلى به من صدق وصراحة وعدم مداهنة ، كان له الاثر الكبير في تسنمه

زمام قيادة الأمة • لكن المسألة الاساسية في هذا القائد كانت شيئا آخر • انها أصالة النداء الذي أطلقه الامام الخميني • فنداء هذا القائد انطلق من قلب ثقافة هذه الأمة ومن أعماق روحها ، ومن مزيجها الحضاري •

لقد عاش شعبنا خلال أربعة عشر قرنا ملاحم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وزينب وسلمان وأبي ذر ••• وأمثالهم ، وهذه الملاحم امتزجت مع روحه وعقله ، وها هو اليوم يسمع أنغام تلك الملاحم ، التي ألفها من قبل ، تخرج مرة أخرى من حنجرة هذا الرجل •

رأت الجماهير عليا وحسينا مجسدين في شخص الامام ، كما وجدت فيه المرآة التي تعكس بشكل كامل ثقافتها المهانة المحقرة•

ما الذي فعله الامام ؟

انه أعاد لهذه المجموعة من البشرية شخصيتها المفقودة ، أعاد لها وجودها الواقعي وهويتها الاسلامية ، وأنقذها من الضياع والذوبان • وهذه أكبر هدية منحها القائد لشعبه •

لقد استطاع الامام القائد أن يعيد الى الجماهير ايمانها بنفسها • وأعلن بصراحة ان الاسلام وحده قادر على انقاذ هذه الأمة •

طرح الامام على الساحة مسألة الجهاد الاسلامي ، وحدد للجماهير واجباتها الدينية ، وصوّر أمامها عِظم الشهيد والشهادة •

هذه الأمة التي عاشت طويلا أمل الانخراط في زمرة أصحاب

الحسين ، ورددت صباح مساء عبارة خاطبت فيها شهداء الطف قائلة : يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزا عظيما ··· هذه الأمة وجدت نفسها فجأة على مسرح كربلاء وتبوك وبدر وأحد وخيبر ، وجدت نفسها أمام الحسين وجها لوجه ·

وهذا هو الذي هز الملايين من الاعماق ، ودفع بها الى أن تسبغ الوضوء من ينبوع الحب الالهي ، وتخرج مكبرة مهللة لتحطم عروش الظالمين ·

● سؤالي الاخير عن مستقبل هذه الثورة ·· هل تعتقدون أن بالامكان صيانة معطيات هذه الثورة واستمرار مسيرتها ، بحيث لا تعود الاوضاع السابقة، ولا تنتهي الاوضاع الى حالة سيئة ؟

ـ من السذاجة ـ طبعا ـ الاعتقاد بأن كل شيء قد تم · آثار النظام السابق لا زالت باقية ، وهذه الآثار نتلمسها في كل ما كان يقوم عليه ذلك النظام من ثقافة عميلة ، ومن تركيب اجتماعي خاص ·

لا زال كثير من أبناء شعبنا يصدر أحكامه على الطريقة الشاهنشاهية الآريامهرية · ومن هنا فنحن بحاجة أولا الى كنس الثقافة الاستعمارية ، والى تطهير البلد من آثار الاستعمار ·

والى جانب هذا فهناك أياد تحاول اعادة الوضع السابق · وثمة مجموعات يسارية تحاول دفع الثورة نحو الشيوعية · واضافة الى هؤلاء وأولئك ، هنالك (العلمانيون) الذين يريدون ابعاد علماء الدين عن الساحة ، بعد أن استفادوا منهم

في اسقاط النظام الشاهنشاهي ، ليعيدوا ما قاموا به من دور في الحركة الدستورية الايرانية وفي حركة استقلال العراق وفي الحركة الوطنية الايرانية ٠

مع كل هذه الاخطار والمشاكل ، تمتلك الثورة أقوى الاسلحة وأمضاها ، انه ايمان الشعب بقوته ، وعودته الى قيمه الاسلامية الاصيلة ٠

كل القوى الكبرى تخشى يقظة الجماهير المسلمة أشد الخشية ٠ لو استيقظ الشرق المسلم لما استطاعت أن تقف بوجهه أعظم الاسلحة وأفتكها ٠ وطريق هذه اليقظة هو العودة الى تاريخنا وحضارتنا ٠

أتذكر أن طالبا سألني بعد انتهاء احدى محاضراتي قائلا : لو أن الاسلام كان قادرا على انقاذ الشعوب وصنع الحضارة ، فلماذا لم ينهض بهذه المهمة خلال أربعة عشر قرنا من ظهوره ؟!

أجبته بسبب جهلك وجهلي بتاريخ الاسلام ، فمن عوامل انحسار الاسلام عن الحياة جهل مثلك وأمثالك بالحضارة الكبرى التي أقام صرحها الاسلام في تاريخ البشرية ٠

ما كان بالامكان اطلاقا أن تخضع أمتنا لسيطرة القوى الكبرى لو حافظت على ارتباطها بثقافتها الاصيلة ٠ كل جهود المستعمرين انصبت على قطع صلة الأمة بتراثها الحضاري ٠ ولقد شاهدنا بأم أعيننا الجهود الضخمة التي بذلت فيما يسمى باحتفالات « ذكرى مرور ألفين وخمسمائة عام على تأسيس الشاهنشاهية »! من أجل ابعاد الحضارة الاسلامية عن مسرح تاريخ هذه الأمة ٠

لا بأس أن أذكر هنا مثالا آخر على محاولات النظام المندحر في هذا المجال ٠

قبل أن يغلق النظام البائد « حسينية ارشاد » كانت الاعلانات المرتبطة بدروس الحسينية ومحاضراتها تنشر في الصحف بشكل رتيب ٠ ولم تحذف الرقابة تلك الاعلانات ، الا اعلانا واحدا ٠

هذا الاعلان كان يرتبط بمحاضرة ، تقرر أن ألقيها في الحسينية المذكورة حول حرق مكتبات مصر وايران ، وحول اختلاق حرق المسلمين لهذه المكتبات ٠

وأردت أن أدرج هذا الموضوع في كتابي « الخدمات المتبادلة بين ايران والاسلام » ، لكنني علمت أن الكتاب سوف لا يسمح له بالطبع ان فعلت ذلك ٠

هذه الحادثة تميط اللثام عن الاتجاه الاعلامي للنظام البائد، فقد أراد هذا النظام أن يغرس في أذهاننا أن الاسلام لم يبن أية حضارة ، بل أباد الحضارات السابقة ٠

قلت لذلك الأخ السائل : ربما كان اعتراضك صحيحا لو أن الاسلام لم يبن في تاريخه أية حضارة ، لكن العالم الاسلامي فرض سيادته العلمية والثقافية على المعمورة لمدة خمسة قرون ٠ وأوروبا اليوم مدينة للحضارة التي شيدها الاسلام ٠ وانه لواضح لدي كوضوح الشمس أن الفلسفة الاجتماعية الاسلامية متفوقة على فلسفة الحياة الغربية تفوقا كبيرا ٠

انتصار نهضتنا في المستقبل يرتبط الى حد كبير بايماننا بأنفسنا ، وبقدرتنا على احياء القيم الاسلامية الاصيلة ٠

لو واصلنا طريقنا على أساس الموازين الاسلامية ، وأزلنا مفاسد مجتمعنا ومعايبه على هذا الاساس ايضـا ، وتحلينـا بالصبر والتقوى وتحلينا بروح الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأضحى انتصارنا حتميا لا شك فيه ٠

انظر الى الحركة الفلسطينية ، ستجد أن بُطأها في تحقيق أهدافها يعود بالدرجة الأولى الى عدم نقائها الاسلامي ، والى وجود تيارات شيوعية في داخلها ٠

وفي أحداث نهضتنا هذه ، رأينا أن شهادة شاب مسلم تؤدي الى تصاعد الثورة واستفحالها ، بينما يؤدي مقتل فـرد مـن المجموعات غير المسلمة الى بطء حركة النهضة ، وذلـك لأن الجماهير كانت على علم بآراء هذه المجموعات بشأن الكـون والحياة والمجتمع ٠٠٠ وكانت الجماهير تخشى دوما أن تقـع السلطة بأيدي هذه المجموعات اللااسلامية ان سقط النظـام الشاهنشاهي ٠

النظام البائد كان على علم بنفور الناس ومقتهم للماركسية حين أطلق على المسلمين المناضلين اسم «الماركسيين الاسلاميين» ٠

لقد بدأ المسلمون يعون في كل العالم أن الطريق الوحيـد لتحررهم من قيودهم وأغلالهم ينحصر باعتمادهم على قدرتهم ٠

تاريخنا المعاصر أثبت بوضوح أن الشيوعية والامبريالية ـ على تناقضهما الظاهري ـ كشقي مقص اجتمعا على هدف واحد ٠

أعتقد أن الوقت قد حان ليرتفع نداء العودة الى الاسلام ، لا في مجتمعنا فحسب ، بل في جميع أنحاء العالم الاسلامي ، ولو قُدر

لهذا النداء أن يرتفع ، لسمعنا معه أصوات تحطم السلاسل والقيود التي تكبل مسيرة هذه الأمة وطاقاتها ، ولشهدنا ولادة الأمة الاسلامية المقتدرة من جديد ٠

● أشكرك فضيلة الأستاذ ٠٠٠

دعائم
الثورة الإسلامية

تمهيد

كان للشهيد الاستاذ مرتضى مطهري دور بارز وفعال في الثورة الاسلامية الغراء في ايران ·· وهو غني عن التعريف ، ولست في صدد تعريفه ··

وله نتيجة لدوره المهم آثار فكرية قيمة هي التي تدل عليه وتشير الى المحور الذي كان يشغله ·· وانطلاقا من احياء تلك الآثار اخترت قسما من محاضراته التي ألقاها في كلية الالهيات·· وبعض الخطب التي قيلت في مساجد عدة ·· ومقابلات صحفية كان قد أجراها معه تلفزيون الجمهورية الاسلامية الايرانية ·

ولقد بذلت جهدا ليس بالهين لأن تبقى روح الشهيد الطاهرة مخيمة علينا ونحن نقرأ له ·· فلذلك لم أتصرف في تغيير الفكر التي طرحها بل بقيت محافظة على جوهرها ، اللهم الا من حذف لبعض ما هو متكرر ··

ولا أدعي الكمال لهذه المجموعة من حيث الاخراج والتنقيح وذلك لأن الشهيد لم يكن حاضرا آنذاك ولو كان لكانت أفضل وأكمل من غير شك ··

ومع ذلك يبقى هذا الكتاب ارثا ذا قيمة وفائدة جليلتين ، عسى ، بل نرجو الله سبحانه وتعالى أن ينتفع به الكثيرون ، وأكون بذلك قد سلطت بعض الاضواء على الطريق الذي يجب على المسلمين كافـة السير عليه ، والذي يوصلنا الى النبـع الحقيقي الذي لا ينفد ، نبع الاسلام الحنيف ..

ولا يسعني في هذا المقام الا أن أتقدم بالعذر من القراء الكرام ، خاصة من الذين تجانسوا مع آثار الشهيد .. أتقدم من الجميع بالعذر من النواقص التي قد يجدونها ، من حيث التبويب والتنظيم لهذا الكتاب ..

والله من وراء القصد

المحاضرة الاولى

حرية العقيدة

القيت في كلية الآلهيات
يوم الثلاثـــاء المصادف
٢ - ٢ - ١٩٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

رغم انشغالي المتزايد في هــذه الآونــة الاخيرة أحببت أن أجيبكم الى دعوتكم لي بالقاء محاضرة في الكلية ..

وقبل الخوض في الحديث أود أن أوضح بأنني لم أستطع أن أهيء محاضرة متكاملة ألقيها عليكم وذلك لعدم وجود وقــت لدي كما ذكرت لكم .. ولكنني وضعت مسألتين نصب عيني أرغب في الحديث عنهما .

الأولى : ذات علاقة وثيقة بمكان المحاضرة ، وذلك لأن هذه الكلية ذات رسالة مهمة وخطيرة ، باعتبار أنها تدرس الالهيات والمعارف الاسلامية .. فعلينا أن نعرف الأسلوب الذي تؤدي به رسالتها للمجتمع ، وهل هذا الاسلوب أعطى مفعولا جيدا ؟ وهل هناك أسلوب أفضل منه لنجاح المهمة الموكولة اليها ؟ أقول هذا لأننا نلاحظ أننا في هذا العصر نخوض نهضة اسلامية مقدسة ..

أما المسألة الثانية : فهي ترتبط بشكل أو بآخر بهذه الكلية ألا وهي الحرية ، وحرية العقيدة التي هي موضع بحث في كثير من الاوساط الفكرية ..

فأما بالنسبة للمسألة الأولى فاني أرى أن رسالة هذه الكلية هي جزء لا يتجزأ من رسالة الاسلام الخالدة .. فمن أسسها التوجيه الصحيح ، والتفسير المنطقي ، والدفاع الحق عن العقيدة الاسلامية .. أما انه هل نجحت في تأدية مهمتها وقامت بالواجب الملقى عليها كما يجب ، فانه حديث في ما مضى ولا أريد التعرض له ، لأن ما يهمني فعلا هو مستقبل هذه الكلية وما ستؤول اليه .. واعتقادي الشخصي بأنها يجب أن تكون مرآة للعقيدة الاسلامية ، وعلى الاساتذة والطلاب الملتزمين أن ينهضوا بهذا الامر ..

أما بالنسبة للمسألة الثانية ، مسألة الحرية .. فعلينا أن نرى ما هي الحرية ؟ وهل لها حدود معينة في حياة الانسان ؟ هناك نوعان من الحرية ، أحدهما : ما يسمى بالحرية الانسانية، والثاني : يدعى الحرية الحيوانية ، أي حرية القوة الغضبية والقوة الشهوانية ، وهي أن يطلق الانسان العنان لشهواته وغرائزه وهواه .. ومن الواضح ان من تكلم في موضوع الحرية مناقشا أو معالجا أراد بها الحرية الانسانية ..

فالانسان بما هو انسان يملك قدرات شتى وطاقات حيوانية، ولكن القدرات هي أسمى وأرقى من الطاقات الحيوانية ..

وهذه القدرات تارة تنتج عن العواطف الانسانية والميل النفسي أو الرغبة الشديدة التي تكون حافزا للانسان نحو ما يرغب ويشتهي •• وأخرى تنتج عن تفكر وتدبر حسب نظرة الانسان الشخصية الى الحياة •• وعلى كل حال تبقى هذه القدرات منشأ الحرية السامية الاهداف ••

وأريد أن أتحدث بشكل مختصر عن نقطتين هما : حرية الفكر ، وحرية العقيدة •• فحرية الفكر ناتجة عن القدرات الانسانية التي تمكنه من التعمق في معنى الحياة •• والتطور الانساني والتكامل البشري يكمنان في حرية الفكر ، فاذا كان الانسان ذو فكر حر صائب استطاع أن يميز بين الأمور وأن يرقى الى أعلى المستويات •• أما حرية العقيدة فلها خصائصها المميزة المختلفة •• ومن البديهي بأنه ليس كل عقيدة ناتجة من فكر صحيح •• ومما لا يخفى على أحد أن هناك عقائد كثيرة ناتجة من عادات أو تقاليد أو مستندة على العصبية وهذه عادة تكون سيئة وغير قادرة على حل مشاكل المجتمع الذي تظهر فيه ، بل انها تحدد فكر الانسان وتجمده على ما اعتاد من أموره اليومية أو السير على ما كان عليه الآباء والاجداد ، وضررها واضح للبشرية •• لذا لا نستطيع أن نأخذ بكل عقيدة تصادفنا ، أو نسلم بعقيدة انسان يعبد الحجر، لا لشيء الا لأنه فكّر ، وأوصله فكره الى مزاولة هكذا عبادة بحجة أن حرية العقيدة مقدسة ! بل علينا أن نحرر عقله ونصحح فكره ، ونقتدي بسيدنا ابراهيم خليل الله (ع) ، وكلكم يعرف قصته (ع) مع قومه الذين كانوا عبدة أصنام •• فاستغل النبي ابراهيم (ع) خروج الناس من المدينة في احدى الاعياد وحطم

الاصنام بمعوله وأبقى الصنم الاكبر معلقا عليه المعول ، كي يظن الناس ان الآلهة اختلفت في ما بينها وتغلب الاكبر عليها بعد تحطيمها •• وغايته من هذا الفات نظر الناس حتى يتساءلوا : هل من المعقول أن يتحرك الصنم ويتصارع مع جامد مثله ، وفائدة التساؤل هنا هو أن يتسرب الشك في ألوهية ما يعبدون •• وأنبئنا القرآن الكريم عن نتيجة هذا العمل وما أسفر عن ذلك التساؤل بقوله جل ثناؤه : (فرجعوا الى أنفسهم) وبنظر القرآن ان النفس الحقيقية للانسان مؤلفة من العقل والفكر والمنطق الصحيح ، ومن يرجع اليها مجردا عن الاهواء سيدرك الحقيقة قطعا •• فعمل الرسول هنا مناقض لمفهوم حرية العقيدة بالمعنى المتعارف عليه ! فهل نوافقه على ذلك أم لا ؟ وهل كان عليه أن يعتقد بما اعتقده قومه لمجرد أنهم الاكثرية وهو فرد واحد ؟ فلو ناقشنا المسألة من وجهة نظر اسلامية لوجدنا ان الحق كل الحق مع الرسول ابراهيم (ع) وذلك لأنه لو وافقهم على عبادتهم لكان اغراء لهم في الاستمرار بالجهل والظلام ، ونفس الموقف رأيناه قد صدر من الرسول الاعظم محمد (ص) عندما فتح مكة ، فانه حطم الاصنام تحطيما ، لأنه رأى الناس مأسورة فكريا لها ، فكسرها وحرر الناس من المخاوف والاعتقاد الفاسد بأنها الآلهة •• فلنقس هذا العمل الجبار بما فعلته ملكة انكلترا خلال زيارتها للهند ، فانها خلعت نعليها قبل أن تصل الى معبد مقدس للهنود بأمتار عديدة ، حتى يقال بأن الانكليز يحترمون المقدسات ويقدرون حرية العقيدة ولا يخفى ما ينطوي عليه هذا العمل من حيل استعمارية ، وذلك لأن عدم افهام الناس عن فساد معتقداتهم وبدلا من اخراجهم من

الظلام الى النور ، يعمــل الاستعمار على ابقــائهم مأسورين ومغلقين تحت مفاهيم واهية مما تسبب الشلل الحضاري وعدم الصعود في سلم الرقي ، كي يبقى الهندي راضخا تحت الاستعمار البريطاني •• وهذا ما فعله قورش لما فتح بابل مع عدم اعتقاده بأن تلك الاصنام هي الآلهة •• فماذا يفسر هذا من الناحية الانسانية ؟ هل يطلق عليه حرية ؟••

لنستأنف الكلام حول حرية الفكر ، التي هي تناقض الجمود الفكري على أشياء وتقاليد بالية بدعوى حرية الاعتقــاد أو التفكير •• ان كل عقائدي يؤمن ايمانا عميقا بعقيدته يحترم حرية الفكر ، أما من لا يؤمن ايمانا راسخا بما ينادي به يعملون على وضع الناس في دائرة فكرية محددة لا يتجاوزونها •• خذ مثالا على ذلك ، فالدول الشيوعية حتى لا تتأثر بالأفكار الاخرى المضادة لها ، فقد ضيقوا على شعوبهم بحيث منعوا الاتصال بهم بشكل أو بآخر ، فالراديو صنع لهم على هيئة حتى لا يلتقط اذاعات أخرى بعيدة •• أما في الجمهورية الاسلامية فانني أعلن وبصوت عال بأنه سوف لن تكون عندنا أي حدود للفكر ، وسوف لا تصاغ الافكار في محور معين ، ونظامنا سوف لا يجبر على السير في خط معين لجميع الافكار •• يجب أن يكون الشعب ، كل الشعب حرا ، كي نحصل على أفكار صحيحة نابعة من الذات وهذه الحرية التي سنعمل على تكريسها بعيدة عن المؤامــرات والنفاق •••

قبل ثلاثة أيام التقيت مــع شباب يؤمنــون بالشيوعية ، فطرحوا علي السؤال التالي : هل الشعار الذي يحمل عناوين

مثل : اتحاد ـ حرية ـ نضال سيء ؟ أجبت : كـلا • قالوا : فلنجعل هذه العناوين هي القواسم المشتركة بيننا • قلت : اننا متفقون على العنوان دون المعنون ، وذلـك عندمـا تطرحون النضال نريد ان نعرف هذا النضال ضد من ؟ هو نضال ضد النظام الحالي ثم نضال ضد الدين •• فانكم تطرحون شعارات رنانة تمويها لمآربكم ، وحتى تضمنوا التفاف الناس حولكـم فقط •• أما أنا عندما أقول نضال أحدد فورا قصدي والهدف الذي أرمي اليه ، فأقول انني أناضل ضد الامبريالية أولا وثم ضد الشيوعية •• أنتم لا تعتقدون بأن الامام الخميني هـو القائد الذي يجب أن يُتبع ، لأنكم تقولون بأن السير معه هو مرحلي ، وبعد اجتياز تلك المرحلة ستحاربونه ، فلماذا اذن ترفعون صوره في مسيراتكم ؟ أتكذبون على الناس ؟ هو يؤمن بالله ويسير على هدى القرآن ، وأنتم تؤمنون بأقوال ماركس ولينين •• لماذا لا تعلنون صراحة ما تعتقدونه حقا ؟ لماذا هذا الخداع والنفاق والاحتيال ؟ واني أعلم بأنكم مستفيدون من الحرية الموجودة في الجمهورية الاسلامية •••

ان الاسلام هو منبع حريـة الفكر ، ولكـم الحرية في أن تسيروا على خطى تفكيركم •• قبل سنين أرسلت رسالة الى هذه الكلية مطالبا أن تخصص كرسيا في المجلس الأعلى للكليـة لأصحاب الفكر الشيوعي ، وأستاذ الكرسي يجب أن يكـون ماركسيا ليدرس ما يعتقد به ، ونحن نناقشه مناقشة مفتوحة ، والغرض من هذا أن نمنع الألاعيب والخداع ••

وبالتالي نحن نرفض أن يفسر الماركسي أية آية قرآنية لأنه يفسرها بما يتماشى مع هواه لا بما هو الحق •• أقول هـذا

لأني رأيت ان بعض الافكار الماركسية تُبلغ تحت الشعار الاسلامي ، وهذه هي الخيانة العظمى ٠٠ منذ أيام وصلني كتيب فيه تفسير للقرآن ، وأول ما لاحظته أن مؤلفه اما جاهل أو متجاهل ، فاني اعتقد انه من الذين انجرفوا في الخط الشيوعي ، وذلك لأن التفسير كان ماركسيا ، خذ مثالا على ذلك : عندما وصل الى قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) فسر « الغيب » على أنه مرحلة الغيب ومرحلة الشهادة ، بمعنى ان النظام الامبريالي الذي يسعى الناس لاسقاطه فلا يقدرون على ذلك مباشرة لأنه يملك قوة قاهرة فيعمل الثوار على أن لا يكشفوا أنفسهم ، أي العمل السري ، وهذا ما يسمى مرحلة الغيب ، أما بعد سقوط النظام تدخل مرحلة شهادة الثورة ٠٠ ومعنى هذا اننا الى السنة الماضية في مرحلة غيب الثورة ، والآن نحن في مرحلة شهادة الثورة ٠٠ نسأل : لماذا هذا اللف والدوران؟ وهل تفسير القرآن اعتمادا على هواكم وأقاويلكم يعتبر حرية فكر ؟ أم انه طعن في أفكار الآخرين ؟

ان القرآن كتاب سماوي ، وحي من عند الله ، وكل من لا يعتقد بمعجزته فلا يخلو اما أن يكون جاهلا أو كاذبا ،وبالأساس هو غير مسلم ٠٠ وعلاوة على اعجازه بحد ذاته ، فقد نقل لنا معجزات حصلت في القرون الغابرة ٠٠ أذكر على سبيل المثال قصة أصحاب الفيل وهي : ان أبرهة الحبشي لما عظم سلطانه أراد أن يوسع ملكه فتوجه نحو الكعبة الشريفة معبد ابراهيم خليل الله قاصدا تحطيمها ٠٠ فأرسل الله طيرا من البحر الاحمر يدعى « أبابيل » يحمل كل طير منها حجرا فقذفوها على الجيش الجرار ، كالجراد الذي يهجم على القمح ، فهلك الجيش شر

هلكة ·· والى هنا الحوادث قطعية لأن القرآن نقلها حرفيا ، أما من ناحية التفاصيل فالأمر ظني ، اذ يقال ان الجنود ابتلوا في مرض الآبلة ـ وهو مرض جلدي أو ما يشبهه ـ والسورة التي تنبئنا بالقصة نزلت على محمد (ص) بعد أكثر من أربعين سنة ، وكان يوجد اشخاص قد رأوا الحادثة معاصرين للنزول ، وأكثرهم ممن لم يؤمن بالرسالة المحمدية ، فلو كانت القصة فيها شيء من الكذب لطبلوا وزمروا كثيرا ··لنرى ذلك الماركسي الذي فسر هذه السورة ماذا قال ·· قال : في عام الفيل كان يوجد ثوريون يناهضون الاستعمار العالمي ، وكان مقر الثوار مكة ، فجيَّش الاستعمار جيشا قويا للقضاء عليهم ، فما كان من الثوار الا أن ردوا هجومهم وكانوا كالطيور وثوبا حتى هزموا الجيش ·· ثم يقول الكاتب : وعدم ذكر ذلك في التاريخ لا يجعلنا نتخلى عما نقول ··

أقول : ان فهم القرآن بهذه الصورة لخطأ فادح ·· ولا يسعني الا أن أنصح هؤلاء الاخوة بعدم اللجوء الى تشويه معنى القرآن ، اذ هناك من جد واجتهد وأشغل عقله وأوقد فكره ليل نهار حتى يحصل على التأويل الصحيح للقرآن الكريم ··

ان القرآن أنبئنا بأن لله ما في السموات ومـا في الارض وعنده الارادة التكوينية التي اذا توجهت نحو شيء تقول له : كن فيكون ·· لكن الفكر المادي يزعم ان المادة مستقرة بحد ذاتها ولا يمكنها أن تخرج من مصيرها،لذا فان تفسيرات معتنقيه للآيات القرآنية تنبع من ذلك الزعم ، منكرين ان الله على كل شيء قدير ·· واني أعلن مجددا بأن نشر هكذا آراء هي ليست لصالح الاسلام بل لصالح الاستعمار وحده ··

لقد أكد الامـــام الخميني بأن الاحزاب ، كل الاحزاب ، تمارس نشاطها السياسي بكل حرية في ظل الجمهورية الاسلامية ولو لم تعتنق العقيدة الاسلامية شرط عدم التآمر على الجمهورية أعطينا الحرية الكاملة للشعب كافة في أن ينتقدوا ويناقشوا عقيدتنا حتى غير المذهبيين ، فليناهضوا الاسلام بدون حرج ، ونحن بدورنا نردهم ونجابههم بالمنطق الصحيح الصريـــح ·· وهذا مما لا تجدوا له مثيلا في العالم أجمع ·· وهذه الطريقة كانت عنصرا مهما في استمرار الدعوة الاسلامية ·· ولو جابه المسلمون الأوائل في صدر الاسلام المنافقين والمارقين الخارجين عن الدين بالعنف والقسوة لما بقي أثر للاسلام في عصرنا الحالي فيجب اتباع الحوار والمناقشة مع أعداء الاسلام ، وبهذا يثبت ويبقى ما بقي الليل والنهار ·· وهذا الأسلوب الذي كان عليه امامنا الصادق (ع) اذ ينقل أن رجلا اسمه « مفضل » كـــان يصلي في المسجد وجلس بقربه رجلان من أتباع الفكر المادي ، قال أحدهما محدثا صديقه : ان النبي لم يكن مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر ، بل انه استغل هذه المفاهيم وخرج على الناس باسم دين جديد وذلك ليحدث تغييرا في مجتمعه وكان نابغـــة عصره مما ساعده على احداث ما يريد ·· فلما انتهى «مفضل» من صلاته ابتدأ بالصراخ عليهما وقذفهما بشتى النعوت : يا كفرة ، يا فسقة وما شابه ، قال له أحد الرجلين : الى أي مذهب تنتمي ؟ قال : أنا من أصحاب الامام الصادق (ع) · قال الرجل له : نكون عند الامام ونتكلم بحضرته كلاما أشد عنفا وأكثر كفرا ولا يظهر عليه الغضب ، بل نظن من حسن اصغائه نتوهم بأنه قد اقتنع بحججنا ، حتى اذا فرغنا من مقالتنا يتوجه الينا

بكلام رصين متين فيبطل ما أثبتناه ويثبت ما أبطلناه بكل هدوء واحترام وأدب ...

بهذا الأسلوب امتد الاسلام منذ نشوئه ، وعلى الحوار والمناقشة اعتمد العلماء المسلمون في رد مزاعم الملحدين ، ودونوا تلك المناقشات في كتبهم لتبقى أضواء يشير بها المسلمون فانظروا الى كتاب « الاحتجاج » للطبرسي أو « احتجاجات البحار » فسترى ما أقول .. انني أعلن صراحة الى الشباب المسلم بأن حفظ الاسلام والدفاع عنه لا يتم بالقوة ولا بمنع الملحدين من ابراز معتقداتهم ، بل ان الذود عن الاسلام لا يكون الا عن طريق العلم واعطاء الحرية للافكار المضادة وابرازها ، حتى تقابل من قبلنا بالمنطق الصحيح ...

أريد أن أؤكد بأنه لا يوجد في العالم ثورة مشابهة لثورتنا الاسلامية وذلك لأن دعائمها كانت الايمان المطلق بالله سبحانه وتعالى والشعب المؤمن بالاسلام قولا وعملا ، فالعقيدة الاسلامية راسخة في نفوس الشعب ، وأوضح مثال لذلك ، الطيار الذي تكفل بنقل الامام الخميني من باريس الى طهران هُدد من قبل الطغاة بالطرد ، وقيل له بأن طائرته ستقصف بالمدفعية ، ومع كل هذا وذاك برهن على جرأة واقدام ولم يبال بالمخاطر حتى اضطر النظام أن يسمح له بانجاز المهمة ، أما من يزعم بأن الدين هو للمعتمرين فقط ، وأنه علامة على التأخر الثقافي للمنطقة التي يحل فيها ، فهذا الزعم يدحضه ما وجدناه في النهضة التي عمت البلاد واشترك فيها الفلاح والمثقف والعامل والاستاذ والموظف والمحامي والطبيب ، فهل بامكان أي مذهب غير الاسلام أن يستقطب هكذا قوة بشرية فعالة في جميع مرافق الحياة ..

يعتريني احساس قوي بأن هذه الثورة ستكون قدوة للثورات في جميع البلدان الايرانية ..

علمت ان « كارتر » أرسل رسالة لآية الله الخميني يبلغه فيها ان القوتين الجبارتين في العالم تساند وتؤيد حكومة « بختيار » ، ولكن هذا الرجل العظيم لم يبد أي اهتمام بهذا التهديد .. لقد درست اثنتي عشر سنة عن عبقريته وعن أساس نجاحه فرأيت ان قائد ثورتنا يؤمن بأربعة أشياء ، أولا : ايمانه بالله العلي العظيم ، قال لي في جلسة خصوصية ان هذا الانتصار كان يعتمد في الدرجة الأولى على العناية الالهية التي تدخلت لصالحنا ، وصدق الرحمن في قوله (ان تنصروا الله ينصركم) ، وهذا مماثل ما كان مع أصحاب الكهف ، اذ يقول القرآن الكريم : (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) .. ويقول عز من قائل : (وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض) .. هذه العناية الالهية ظاهرة في هذا الرجل بوضوح ، فلقد قام من أجل اعلاء كلمة الله ، فهداه ربه قلبا خشنا في ذات الله لا يعرف الخوف ولا التردد .. ان الاطباء الفرنسيين عندما فحصوا قلبه قالوا : ان رجلا عاش خمسة عشر سنة تحت الضغوطات الفكرية والعصبية لا زال ينبض كقلب شاب لهو أمر عجيب .. ثانيا : ايمانه بالهدف الذي يسعى لأجله ، فلو اجتمع العالم ليصرفه عنه لما استطاع الى ذلك سبيلا .. ثالثا : ايمانه بالطريق الذي يسلكه .. رابعا : ايمانه بقوله ، فبين كل أصدقائي والثوار القياديين لا أعرف أحدا أكثر منه خبرة ومعرفة بطبيعة الشعب الايراني ، فعندما كنا نطلب منه أن يتساهل أو يتسامح في بعض المواقف

لئلا يفتر حماس الناس كان يقول : انكم لا تعرفون الناس كما أعرفهم ، وفعلا كنا نشاهد تحقق بعض التنبؤات التي يخبرنا بها ...

فمسيرة الامام كانت على طريق القرآن وبهدى منه ، أمر القرآن بالعمل من أجل الله ووعد خيرا ، فبر القرآن بوعده اذ تحققت الثورة ، وملأ قلبه من تعاليم القرآن فلم يذهله تهديد أمريكا ولا الاستعمار العالمي بأكمله .. فهذا هو قائدنا الذي يعمل في النهار جاهدا مجاهدا لا ينسى أن يخصص ساعات السحر لمناجاة ربه .. كان الامام علي (ع) الذي كان يبتسم في ساحة الوغى ويبكي في محراب الصلاة ..

أخيرا أرجو من الله تعالى أن يمنح قائدنا طول العمر ويمنحه القوة والصحة لاستمرار المسيرة الخالدة ، ويلهمنا الهداية لأن نكون من جنوده الأوفياء والمخلصين ومن حراس دينه العظيم .. دين الاسلام ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الثانية

ماهية الثورة

القيت في مسجد الجواد

بتاريخ ١٥ ــ ٣ ــ ١٩٧٩



بسم الله الرحمن الرحيم

قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه : (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون) •• يخاطب جل ثناؤه المسلمين قائلا لهم : ان الكفار الذين عملوا على محاربتكم ليل نهار يئسوا اليوم من تحقيق مآربهم وذلك لأنهم هزموا شر هزيمة لا يقدرون بعدها أن يواجهوكم أبدا ، فالخطر الذي كان منتظرا من قبلهم أزيل نهائيا •• ولكنه ليس معنى ذلك ان النصر أبدي ولا يخشى عليكم من شيء ، بل هناك خطر كبير وهو من الداخل ، وهو انه يخاف عليكم •• أيها المسلمون ان الله سبحانه سوف يعاملكم بعدله لا بفضله ورحمته ، وهذا يعني ان الظالم يؤخذ بظلمه ، كما ان المحسن يثاب على ما عمله ، قال الامام (ع) في احدى أدعيته : « يا من لا يخاف الا عدله » •• ففي النظام الذي يسوده العدل لا يوجد للظلم فيه مكان ، فاذا ارتكب الانسان معصية سيستحق جزاء عمله ، ولهذا قيل : ان الخوف من الله معناه ــ بعد التفكير ــ الخوف من

الذات ، أي محاسبتها حسابا شديدا كي لا يقع الانسان في أي معصية ، وحتى يتجنب الانسان مخالفة الله تعالى عليه أن ينتهي اذا نهي ويأتمر اذا أمر ، وهنا يبرز الصبر ويظهر المؤمن الحقيقي •• قال الرسول الاعظم (ص) : « مرحبا بقوم قضوا الجهاد الاصغر ، وبقي عليهم الجهاد الاكبر » وهي تشابه في المعنى الآية المذكورة آنفا ، كذلك قال عز من قائل في هذا الصدد : (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، فمن هذه الآية نستطيع أن ندرك أساس التاريخ الاسلامي ، وندرك أيضا الخطوة الاساسية للمنهج الاسلامي ••

عند دراسة التاريخ بدقة وامعان نجد ان أكثر المسلمين انحرفوا عن المنهاج العام الذي رسمه الرسول الاعظم (ص) ، وشقوا صف الوحدة الذي سار عليه النبي (ص) فبرز الى الساحة انتهازيون تلاعبوا في الألفاظ والمفاهيم حتى استطاعوا أن يغيروا مسار النبي (ص) ويسيروا فيه نحو طريق مصالحهم الشخصية ، وكانت عندهم ادعاءات كثيرة واعتداد بالرأي ناتج عن جهل أو تعصب أعمى •• وبما ان القرآن نزل بلسان عربي وان النبي عربي النسب ، وقام الاسلام واشتد وقوي على يد العرب ، واستطاعوا أن ينشروه في أنحاء العالم بواسطة الفتوحات ، فاندثرت الانظمة الفاسدة الكافرة ، وحل الاسلام كسلطة ودين ، فمع ملاحظة تلك الأمور لا بد من نشوء تيارين : الاول منهما : يدعو الى تفضيل العرب على سائر القوميات ، وفرض السيادة والاحترام لهم دون غيرهم •• أما التيار الثاني

فكان يدعو الى الاسلام الحقيقي السماوي الذي يقول : « لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى » ، و « الناس سواسية كأسنان المشط » . ومن هنا ابتدأت الصراعات القومية ، ونقدر أن نلاحظ ذلك جليا في القرون الثلاثة الأولى ، اذ برزت الصراعات القومية في أشد صورها وذلك بين العرب والفرس والترك .. فعندما تربع بنو أمية على كرسي السلطان أرجعوا الأمة الاسلامية الى زمن الجاهلية ففضلوا العرب على الفرس اجمالا وآثروا قبائل دون أخرى ، فاشتدت بذلك الروح القومية ووصلت الى أوجها .. ولكن ما ان تسلم بنو العباس الحكم من الامويين حتى قربوا اليهم الفرس ، ولكننا نرى ان المنصور لما خشي من عصيان أبي مسلم الخراساني الذي كان واليا على خراسان حتى قتله ، ثم ان هارون الرشيد الذي قرب اليه البرامكة ، حتى سيطروا تقريبا على جميع أمور الأمة الاسلامية ، فما لبث ان أنزل بهم نكبة شديدة أهلكت الكثير منهم .. الى أن جاء المتوكل العباسي الى الحكم فاعتمد على الاتراك لتثبيت سلطانه ، وكانوا من الجنود الاقوياء الاشداء الاجلاف ..

وليس وضعنا اليوم أفضل منه بالأمس .. فنداء القرآن الكريم : (اليوم يئس الذين .. الآية) فالنداء موجه الينا للفت أنظارنا الى أن المهمة الاساسية للمسلم أن يتخلص من العدو الداخلي ويقضي عليه ، ومن ثم يوجه اهتمامه للعدو الخارجي ، وانه عادة لا يخوف ، فكما قضى المسلمون الأولون على عدوهم الخارجي ولكنهم بعد وفاة الرسول الاعظم (ص) تغلغل العدو الداخلي في المجتمع فنشأ التعصب ونشأت العنصرية

ومني الاسلام بهزائم داخليـــة كثيرة فرقت أبناءه وجعلتهـم أشياعا وفرقا مما جعل غير الكفؤ أن يتسلم زمام السلطة ٠٠ فهذا درس لنا عظيم يجب علينا نحن الثوار المسلمين أن نتجنب الاخطاء التي وقع فيها المسلمون الأوائل ٠٠ فاذا وضعنا الآية الشريفة نصب أعيننا ، واذا أدركنا قولــه تعالى : (ان الله لا يغير ٠٠ الآية) ادراكا صحيحا فسوف لن تهزم الثورة ٠٠٠

هناك مثل شائع يقول : ان الحفاظ على الشيء المكتسب أصعب من اكتسابه ، لذا نرى ان انتصار الثورة الاسلامية ذو عبء أخف من الحفاظ على مكتسباتها ٠٠ اني ألاحظ بعض بوادر التفرقة بدأت تتسرب الى الثورة،ولو ان هذا شيئا مرتقبا، لكن علينا علاجه قبل أن يستفحل ، والعلاج شرط فيه تشخيص الداء ٠٠ فمن المحتم علينا أن ندرس الثورة كظاهرة اجتماعية ، ونتعرف على جميع جوانبها ، ونحلل ايجابياتها وسلبياتها بدقة واخلاص ٠٠

سألقي نظرة سريعة على أكثر الثورات في العالم ، وبعدها أتطرق الى ثورتنا بوجه خاص ٠٠ فلنتعرف على كلمة الثورة ماذا تعني ؟ الثورة تعني : تمرد وعصيان شعب ما أو مجموعة منه على النظام السائد في المنطقة لأجل ايجاد حالة جديدة فيها تحت اشراف نظام جيد لتحسين الاوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية ٠٠ فأساس الثورة يستند على أمرين : أولهما : الخروج من الوضع الموجود وعدم الرضوخ للحكم القائـم ، الثاني : وضع استراتيجية للصيغة البديلة مع رفع شعار ينادي بالتغيير ٠٠

من ناحية أخرى تتأطر جميع الثورات بشكل عام بنظريتين :

الأولى : تعتقد بأن الثورات كلها ذات ماهية واحدة وان اختلفت أشكالها ومظاهرها أو وصفت بأنها سياسية أو دينية أو علمية كالثورة الاسلامية في صدر الاسلام والثورة الفرنسية وثورة اكتوبر والثورة الثقافية في الصين ، فكل هذه الثورات لها دافع واحد ، هو اقتصادي ومادي ليس الا ، فانها ثورات المستضعفين في الارض على الاقطاعيين والبرجوازيين .. حتى أصبح المستضعفون هم المادة الأولى لقيام الثورات في عصرنا الحاضر ، حتى ولو ان الثوار تكلموا بالمفاهيم الاسلامية .

النظرية الثانية : تعتقد باختلاف ما يعتقده الماديين ، فلا تقتصر الثورة عندهم بالاقتصاد والمادة ، حتى ولو ان عنصر التفرقة الطبقية من حيث الغنى والفقر له أثره البالغ في الثورة ..

قال الامام علي (ع) في خطبته عند توليه الخلافة : « لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم » .. فالامام عليه السلام تحدث عن وجود شقين في المجتمع : ظالم ومظلوم ، وعن صفتين : الشبع والجوع .. فأصحاب النظرية الثانية لا يحصرون الثورة بالعامل الاقتصادي فقط ، لأنها قد تكون بدافع انساني شامل ، اذ أن الجوع غير مختص بالانسان ، فان الحيوان أيضا يثور عندما يجوع .. والثورة ذات الاهداف الانسانية تطالب بالحرية ، ولها ماهية سياسية مميزة ، فمن الممكن ان يوجد نظام ذو عدالة اجتماعية ، ولكن فيه كبت للحريات واختناق سياسي ، ولأجل ذلك تقوم ثورة عليه مطالبة بالحرية والانفتاح السياسي ..

وقد يكون للثورة منشأ عقائدي ، فعندما يحس العقائديون انهم يتعرضون للخطر من قبل الحكـام يثورون دفاعا عـن عقيدتهم ..

فيمكننا تحديد العوامل التي تؤدي الى الثورات بما يلي : اما أن يكون العامل اقتصاديا ويسعى الثوار الى الغاء الطبقات في المجتمع ..

واما أن يكون سياسيا اجتماعيا .. فغاية الثـورة تكون الحرية والوصول الى الانسانية المتكاملة ..

روي عن ابن سينا حين كان يتولى وزارة مدينة همدان أنه مر في طريقه بكناس ينظف الشارع وهو يتغنى بأبيات شعـر مؤداها : يا نفسي انك ذو أهمية وتستطيعين تحمل العالم بكل سعة صدر .. فضحك ابن سينا قائلا له : لم أر انسانا يكرم نفسه كما تفعل ، فنظر الرجل اليه وعرف من لباسه أنه ذو مقام رفيع وقال له : ان عملي مع حقارته أشرف من مهنتك أيهـا السيد ، وذلك لأن عليك أن تركع يوميا أمام الملك ، أما أنـا فلست مضطرا أن أركع أمام أي انسان بالغ ما بلغ شأنه وذلك لأنني حر .. فخجل ابن سينا وترك الرجل ..

تدلنا هذه الرواية على ان الكرامة الانسانية والحريـة الفردية أغلى بكثير من المقامات الرفيعة والمظاهر الاجتماعية البالية وكل الاغراءات المادية .. ومن هنا نجد السبب الاساسي للثورة الفرنسية التي دعا اليها الحكماء أمثال « روسو » فانهم حثوا الناس للدفاع عن حريتهم وكرامتهم ، ونجحوا بالثورة ..

العامل الثالث للثورات هو الدفاع عن العقيدة ، ونستفيده

من قوله تعالى في سورة آل عمران الآية الثالثة عشر : (قد كان لكم آية في فئتين التقتا • فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة) فهذه الآية الشريفة تتكلم عن حرب المسلمين مع الكفار في غزوة بدر ، فالمسلمون حربهم كانت حرب عقيدة ، للدفاع والذود عنها ، بينما كانت حرب الكفار لحماية مصالحهم والحفاظ على مراكزهم الاجتماعية والعشائرية ليس الا ••

وهنا سؤال يطرح نفسه : ما هو العامل الاساسي الذي بنيت عليه الثورة ؟ هل هي طبقية أو ليبرالية ؟ أم هي ذات عقيدة اسلامية ؟

فمن يعتقد بأن كل الثورات ذات طابع مادي يقول بأن ثورتنا طبقية اقتصادية ، اذ هي ثورة المحروم على الحارم ، والفقير البائس على الغني المرفه •• وهناك فئة من الناس يؤمنون بالفكر المادي ويريدون صبغ أنفسهم بصبغة اسلامية ، ويستشهدون بقوله تعالى : (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون • القصص ٥ ــ ٦) •• فتريد هذه الفئة القول بأن القرآن أيضا يقول بأن الثورة أساسها المستضعف • ولكن الباحث المدقق في تعاليم القرآن يرى ان الاسلام يعتبر ان النهضة التي تأخذ بالاسلام فكرا وعملا هي في صالح المستضعفين، ولا يشترط فيها أن تقوم على أكتافهم ، وهذا يخالف ما يعتقده الماديون •• فعندما قام الانبياء بثورات على مجتمعاتهم وناهضوا الانظمة السائدة آنذاك ، كانت ثوراتهم لصالح المستضعفين ، ولكن ليس بالضرورة أن يكون الانبياء أنفسهم

مستضعفين ، كذلك ان الماديين لا يؤمنون بأن البناء الذاتي لكل انسان له علاقة مباشرة بالثورة ، بل يعتقدون ان التكوين الاجتماعي هو الذي يحدد وقوع الثورة ، أما الاسلام فيعتمد على انسانية الانسان ، ولذا نراه يخاطب كل طبقات المجتمع من محرومين وحارمين ، فقراء ومرفهين ·· فالاسلام يعتقد بأن في ذات كل مستكبر تختفي انسانية ولكنها مربوطة بسلاسل من حديد ، وبالامكان حل هذه القيود ·· ففرعون لم يحاصر بني اسرائيل بالسلاسل فقط ، بل انه حاصر نفسه وذاته الانسانية أيضا وحصاره لنفسه كان بادعائه الألوهية واستكباره على الخلائق ، لذلك توجه اليه النبي موسى (ع) لتحريره من الطاغوت ومن النزعة الفرعونية التي تملكت في كل أعضائه ، فهي أشبه بالمرض ·· ولكن الثورة لم تنحصر في تخليص ذاته الانسانية فحسب بل لها مفهومها العميق وأبعادها الاجتماعية من جميع جوانبها ، وعندما فشل النبي موسى (ع) من اصلاح فرعون قام ضده بثورته المعروفة ، ومات فرعون شر موتة ·· ولقد كان مع موسى جماعة من الاقباط ـ المالكون آنذاك ـ ودافعوا عن الاسباط ـ وهم الفئة المستضعفة آنذاك ـ ويشير القرآن الى ذلك بقوله : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) ·· كذلك نرى ان زوجة فرعون استيقظ ضميرها عندما سمعت القول الحق من موسى (ع) واتبعت دينه ومذهبه ووقفت ضد زوجها المستكبر ·· ومع النبي محمد (ص) نلاحظ ان الفقراء والمساكين كانوا يؤيدونه أكثر من غيرهم ·· وفي يومنا الحاضر نرى ان الذين انتعشوا وأيدوا الثورة الاسلامية

في ايران أكثرهم من المستضعفين ، لأن الثورة كانت لصالحهم وهدفها العدالة الاجتماعية ..

ان ثورة ايران باعتراف أكثر الناس لها خصوصية معينة وذات طابع خاص ، بمعنى أننا لا نجد لها نظيرا بالعالم .. وفي نظرنا أنها كانت اسلامية ، ولا بد من القاء نظرة على كون الثورة اسلامية .. يرى بعضهم بأن اسلامية الثورة تعني المعنوية الموجودة في جميع الأديان .. ويرى البعض الآخر بأن هذه الصفة تعني ان النظام الجديد سيعطي الحرية للدين ويسمح باقامة المناسك الدينية بكل حرية .. أما بالنسبة للمفهوم الاول فيجب علينا أن نبين ان الحقائق الموجودة في ثورتنا لها مفهوم أعمق بكثير من هذا الامر .. فالثورة الاسلامية في صدر الاسلام الى جانب مفهومها الاسلامي كانت سياسية واقتصادية ، بمعنى أنها تمنح الحريات للشعب وتقيم العدل وتزيل الفوارق الطبقية بين أفراد المجتمع .. والسر في نجاح ثورتنا أنه كان للعامل المعنوي والمادي والسياسي أثر فعال فيها .. فالنضال لأجل القضاء على الطبقية يعتبر من التعاليم الاسلامية ويمتزج بمعنوية عميقة يعطيها زخما أكبر .. كما ان روح التطلع نحو الحرية من صميم الاسلام ..

وخير مثال على العدل والمساواة والحرية في الدولة الاسلامية هو ما نقله جورج جرداق في كتابه فضائل الامام علي (ع) .. واليك القصة : عندما كان عمرو بن العاص واليا على مصر في خلافة عمر بن الخطاب ، أتى رجل وابنه الى عمرو بن العاص يشتكي من ضربة ألحقها به ابن عمرو فما كان من الوالي الا أن طردهما معا ولم يسمع لهما .. فذهبا الى عمر بن الخطاب

وأسمعاه قصتهما فطلب عمر من عمرو المجيء مع ابنه ، وأمر الخليفة ابن الرجل أن يضرب ابن عمرو كما ضربه ، ثم التفت لعمرو بن العاص قائلا له : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » ..

ولنرى مدى تأثر الثورة الفرنسية بالقضاء الاسلامي وأحكامه ، اذ أن أحد الاصول الاساسية التي بنيت الثورة الفرنسية عليه يقول : « كل من يخلق من بطن أم حرة فهو حر » .. ويمكنك الرجوع الى الرسالة التي بعث بها الامام (ع) الى مالك الاشتر عندما ولاه مصرا ، كذلك قول سيد الشهداء الامام الحسين (ع) « ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا ».. فالذي أريد قوله : ان الليبراليين لم يأتوا بشيء جديد بل كل تعاليمهم موجودة في الاسلام .. وتولى نشر هذه التعاليم والقيم الانسانية الموجودة في العقيدة الاسلامية علماء أكابر في جميع المدن والقرى ، لذا نجد شمول ثورتنا ومشاركة الغني والفقير والتاجر والفلاح والمثقف والأمي والموظف والطالب ، وذلك لأنها تحمل صفة اسلامية .. كما ان التلاحم والاتفاق الذي كان بين أفراد المجتمع جعل منها قوة هائلة لا تخشى من أي قوى أجنبية غربية ، واستطاعت أن تحافظ على خطها ومبدئها المستقل .. وفي رأي علماء الاجتماع ان للمجتمع روح كما للكائن الحي ، وروح المجتمع هو الثقافة الخاصة بأبنائه ، فاذا استطاعت النهضة أن تضع اصبعها على هذه الروح تحرك المجتمع كتلة واحدة .. منذ مئة عام تقريبا وهناك صراع فكري بين الثقافتين الغربية والشرقية ، فالشرقيون بشكل عام والمسلمون منهم خاصة يحسون بالحقارة أمام الثقافة الغربية ..

في كتابي « النهضات الاسلامية » ذكرت ان السيد احمد خان كان أحد القادة في الثورة الاسلامية في الهند ضد الانكليز ٠٠ ولكنه عندما دعي الى بريطانيا ورأى هناك الحضارة والازدهار والتمدن الرفيع رجع خاسرا نفسه لدرجة أنه قال : نحن لا نملك أي وسيلة غير العيش تحت الحكم البريطاني ٠٠ وسار على خطاه « تقي زادة » في ايران اذ قال : لو أردنا السعادة يجب علينا أن نصبح من الرأس الى أخمص القدمين كالافرنجة ٠٠ وفي مقابل ذلك نجد ان السيد جمال الدين الاسد آبادي عندما ذهب الى الغرب فكر مليا وقال : يجب أن نستيقظ ونعمل جاهدين لنتوصل الى هكذا حضارة ، وفعلا نشر جريدة أسماها « العروة الوثقى » في باريس ، وذكر قصة خرافية في أحد الأعداد لها أبعادها السياسية وهي :

« كان من المتعارف عليه سابقا ان الغريب في المدينة ينام في المسجد لعدم وجود فنادق آنذاك ، فكان في احدى المناطق مسجد ، كل من بات فيه تخرج جنازته صباحا ، فصادف ان أتى رجل غريب شجاع ، وأقدم على المبيت في المسجد ولم يسمع نصيحة الأهالي ، بل قال لهم اني سئمت الحياة وأريد أن أرى الموت ، وفي منتصف الليل سمع أصواتا وضجيجا مرتفعا كثيرا ، لا يبقى كائن حي الا ويموت عند سماعه ، ولكنه جمع قواه وصرخ على المجهول صرخة مدوية : ادخل أنا لا أخاف الموت ، عند ذلك سمع صوتا مهيبا آخر وهبط حائط في المسجد كاشفا كنوزا ثمينة » ٠٠ ثم قال السيد : ان بريطانيا كالمعبد الكبير الذي يلجأ اليه كل ضائع في ظلام عالم السياسة وعندها سينهزم أمام الأوهام المخيفة ٠٠ ولكن لا بد من أن يأتي رجل ذات يوم قد

سئم من الحياة ، وصاحب فكر نافذ وصبر وتحمل للمسؤولية ويصرخ تلك الصرخة المدوية فيتهدم الحائط وتظهر الغرائب والخيرات ٠٠ وكان السيد جمال الدين نفسه ذلك الرجل الذي سئم الحياة واستطاع أن يقف على رجليه صارخا بوجه بريطانيا العظمى وفتح أعين الناس على الحقائق معتمدا على تاريخ صدر الاسلام والثقافة الاسلامية الواسعة ، فانه أول من بذر بذرة النهضة واستطاعت هذه البذرة أن تكون المنار الذي سارت عليه الحركات الاسلامية في ما بعد ٠٠ فاذا اتفقنا ان هوية ثورتنا اسلامية فالحفاظ على مكتسبات الثورة مرتبط بالحفاظ على تلك الهوية ٠٠

فلنتعرف الآن على هوية هذه الثورة القائمة على أساس ديني ، وتؤمن بالله الأحد ٠٠ فاحدى الطرق لمعرفة هويتها يكمن في معرفة القيادة التي أشرفت على الثوار ورسمت خط الثورة ٠٠ فأما مراكز القيادة فلم تكن خاضعة لنظام ترشيحي ، وليس من مهام القائد الأعلى أن يعين الخطوط الاساسية للثورة ونرى قسما من الذين عملوا جاهدين لاحتلال مركز مرموق في القيادة باءت محاولاتهم بالفشل ٠٠ وترأس الكرسي الاكبر للقيادة المرشد الديني الأعلى الامام الخميني تلقائيا ، وكانت توصياته تؤخذ بعين الاعتبار ، وأوامره منفذة ، وأحكامه سارية المفعول مباشرة ٠٠ فما هو السبب الذي جعل هذا الرجل دون غيره في هذا المركز المهم والحساس ؟ هل كان مجرد صدفة ؟ أم ان صدق اللهجة ووقوفه دائما الى جانب الحق كان له الأثر في ذلك ؟ وهل الرجال الصادقون قلة في عصرنا ؟ أم ان شجاعة الامام ورؤيته الواضحة والدقيقة للامور دفعاه الى تبوأ مركز

القيادة الاول ؟ أم انه جمع كل تلك الصفات التي يجب أن تتوفر في القائد فأصبح لتميزه بهذه الخصائص القائد الأوحد للثورة الاسلامية ؟٠٠

فالجواب على هذا التساؤل يعود الى فلسفة تاريخ الثورات التي تتردد بين أمرين هما : هل التاريخ يصنع الشخصيات ؟ أم ان الشخصيات أنفسها هي التي تصنع التاريخ ؟ نقول : ان هناك أثرا متقابلا بين هذين العاملين ، اذ أن النهضة والحدث التاريخي يجب أن يتميزا بخصائص معينة ، والقائد الذي يريد أن يقود حقبة معينة من التاريخ يجب أن تتوفر فيه مزايا وخصائص ، والامام الخميني كان كذلك ٠٠ والى جانب هذا كله معرفة شاملة وصلة وثيقة بأفكار ومتطلبات الشعب الايراني ، وكان متفهما لما يريدونه ٠٠ وهناك عامل أساسي لنجاح الثورة والتفاف الجماهير حول الامام الخميني وهو تمسك الشعب بالمبادىء الاسلامية وحبهم للرسول (ص) ولأهل بيته الميامين (ع) ٠٠ وكان الامام يتكلم مع الجماهير بكل صدق وبما يعتقده لذلك كان كلامه نافذا ، وقديما قيل : « ما يخرج من القلب يدخل الى القلب ، وما يخرج من اللسان لا يتجاوز الآذان » ٠٠ وبما أنه مسلم بكل معنى الكلمة ومتفهم وواع للرسالة الاسلامية التي من تعاليمها محاربة الظلم بشتى أنواعه وعدم الرضوخ للجائر مهما كانت صفته وترفض الذل للمسلم والركوع لغير خالقه الفرد الصمد ٠٠ كما أنه نادى بعدم فصل السياسة عن الدين ، هذا الفصل الذي جهد الاستعمار للتوصل اليه ، ومن محاولات الاستعمار طرحه لمسألة العلمانية ٠٠ وظهرت آثار محاولة فصل الدين عن السياسة في الدول العربية

وخاصة في مصر ، فقام جماعة نادوا بالقومية العربية ، وقال السادات جهرا في محاولةخاسرة لتبرير صلحه معالعدو الصهيوني الذي يرفضه الدين ، ان الدين للمسجد فقط ..

أما في ايران فالفقهاء أفتوا بعدم هذا الفصل وبذلك أحبطوا مؤامرات الاستعمار ، وضمنوا التفاف الجماهير حول كلمة الحق .. كذلك بيّن القائد الامام الخميني ان الحرية هي من صميم الاسلام وعليها ترتكز أكثر مبادئه ، وبذلك فشلت مخططات الاستعمار لاستعمال هذه الكلمة الرنانة لمحاربة الاسلام بها ، اذ أن الاستعمار يوهم الناس بأن الدين مقيد للحريات ، وبكلمة من الامام بطل تأثير هذا الزعم ، اذ أن الاسلام أول من طرح هذا الشعار وعمل به دون غيره ..

ومن الأمور التي طالبت بها الثورة هو الارجاع الى التاريخ الهجري بعد أن أبدله الشاه الى التاريخ الشاهنشاهي ، وهذا المطلب دينيا ولا علاقة له بالسياسة أو الاقتصاد ..

ومن خلال هذا الشرح والوقوف على المطالب التي طالبت بها القيادة ، كالحرية والاستقلال والعدل والمساواة بمعايير اسلامية ، نستنتج من ذلك ان ماهيتها ماهية الثورة الاسلامية .

فالاسلام يربي المؤمنين به على العدل وقول الحق ، لذلك تجدهم ثائرين على الظلم والجور .. أما المسيحية فانتقدت الاسلام منذ غابر الأزمان لأنها تعتمد على اللين في مواجهة الصعاب والمظالم ، ويقول المسيحيون : « من يضربك على خدك الايمن أدر له خدك الايسر » ، بينما الاسلام يؤمن بالجهاد ، ويقول المسلمون: «أفضل الجهاد كلمةعدل عند امام حاكم جائر» .

ومن الروح الثورية الموجودة في الاسلام سؤال يطرح نفسه وهو : هل يجب أن يكون في المستقبل ثورة اسلامية أو اسلام ثوري ؟

ان الثورة الاسلامية تعني : الطريق ذو أهداف ومقاييس اسلامية ، وتعمل على ارساء قواعد الاسلام ·· فالنضال ليس سوى وسيلة لتحقيق الاهداف الاسلامية الراقية ··

أما اذا اعتبرنا ان النضال والثورة هما الغاية ـ كما يعتقد البعض ـ وما الاسلام الا وسيلة ، فسيختلف الامر تماما ، وسنكون في مفرق طرق عند طرح المعاني الاسلامية ، والتحدث عن الانسان والتوحيد والتاريخ والمجتمع وفهم الآيات القرآنية وتفسيرها كما يرضي الله ··

بعد ايضاح اسلامية ماهية الثورة نقول ان دوامها والحفاظ على مكتسباتها موقوف على السير في نهج عادل وطريق مستقيم، والسعي الى ازالة الفوارق الطبقية والتفرقة الاجتماعية ، والعمل بجد واخلاص في بناء مجتمع موحد يؤمن بالمفهوم الاسلامي ·· أما اذا تسامح القادة في العدالة الاجتماعية فتعتبر الثورة فاشلة ·· ويجب أن يسود التفاهم بين أبناء هذا الشعب كافة وتكون العلاقات بينهم أخوية اسلامية ، أساسها الرضى والود بين الجميع ·· فتأمين العدالة الاجتماعية في المجتمع الاسلامي يقوم على الشعب نفسه وعليه مهمة انجازها ·· أما القائد فيجب أن يضع نصب عينيه قول الامام علي (ع) : « ولكن هيهات أن يغلبني هواي ، ويقودني جشعي الى تخير الاطعمة ، فلعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص

ولا عهد له بالشبع ، أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثى وأكباد حرى ·· نهج البلاغة الرسالة ـ ٤٥ ـ » ·· فبهذا الأسلوب أسلوب التضحية والفداء والتفكير بالآخرين على بعدهم يُطبق الاسلام الحقيقي ، فالعدالة لا تطبق بالعنف ·· ومن المهم أن يلاحظ المسلم أن عليه احترام حرية الآخرين ··

ان الجمهورية الاسلامية لا ترسي قواعدها على الاختناق السياسي والفكري ·· أما اذا أرادت ذلك فمعناه الهزيمة ستكون مصيرها الحتمي ·· فكل فرد من أفراد المجتمع يتمتع بحرية الرأي والتفكير والتعبير عما يجول بخاطره ··والاحداث التاريخية أثبتت ان الاسلام لا ينمو الا في المجتمع الذي يتمتع بحرية تامة ، ولكن للحرية حدود تنتهي عند بدء حرية الاخرين، فعلينا أن نمنع الخداع والتلاعب بالألفاظ ·

وأخيرا ·· زبدة المحاضرة ·· هي أن ازدهار الثورة مستقبليا لا يكون الا في العدالة والحرية والاستقلال الاقتصادي والسياسي والفكري والعقائدي ·· فالاستقلال العقائدي نحصل عليه بمفهومنا فهما دقيقا وصحيحا للاسلام ثم عرضه على العالم ، فعلينا أن لا نجعل للخجل طريقا ينفذ منه الينا عند طرح ديننا القويم على البشرية جمعاء ·· أما اذا أردنا خلط الأوراق فنأخذ شيئا من الماركسية وشيئا من الوجودية وشيئا من الاسلام فسوف تضيع القيم الحقيقية للاسلام والقرآن ، فعلينا اذن الحذر من الافكار الدخيلة ··

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أسئلة حول المحاضرة

السؤال الاول : ذكرتم ان للثورة ماهية اسلامية ، مع ان هناك أقليات سياسية غير اسلامية كان لهم دور وفعالية في هذه الثورة ، فهل تنكرون دورهم في أنهم يلتقون مع الاسلام في خطوط معينة ؟

الجواب : ليس قولنا باسلامية الثورة معناه ان جميع الثوار هم مسلمون ، بل ان الخط العريض والاساسي للثورة كان اسلاميا ، أو بعبارة أخرى ان الروحية الاسلامية كانت هي المخيمة .. نلاحظ ـ مثلا ـ في صدر الاسلام لم تكن الثورة آنذاك موقوفة على المسلمين ، فكانت بعض الأقليات الدينية قد شاركت فيها .. ففي ايران أيام كان الدين الزرادشتي سائدا قبل الاسلام ، كان يعيش في ايران يهودا ومسيحيين ومانويين وكانوا أقليات .. فلما ظهر الاسلام وامتدت دعوته لتشمل ايران ووقعت عدة حروب بين المسلمين والزرادشتيين وجدنا ان الأقليات ساعدت المسلمين لأنهم كانوا يعيشون في ضيق اجتماعي واقتصادي ، وعلموا ان من مبادىء الاسلام العدالة والحرية .. ونفس الوضع تراه في مصر ، فاليهود ساعدوا المسلمين لأن

المسيحيين كانوا يظلمونهم ظلما شديدا ·· فهل تسمى النهضة آنذاك اسلامية ـ يهودية ؟

فالأقليات التي ساعدت في الثورة الاسلامية في ايران هم ماديون ·· ومما لا شك فيه انهم قدموا ضحايا كثيرة وعذبوا واضطهدوا من قبل جلاوزة الشاه ، وكانوا مخلصين في عملهم لا أريد أن أحصي قتلاهم ، ولكن أريد أن أنبه الى مدى التأثير الفعلي لهم على الشعب ، كلكم تعلمون ان عند استشهاد أي شاب مسلم كنا نجد الشعب يهب هبة واحدة مملوءا بروح الفداء والتضحية ، ويزيدهم التحاما ببعض متحدّين النظام الجائر القاتل ·· أما عند مقتل شيوعي من قبل النظام البائد كان يسبب الحزن والخوف في قلوب الناس لئلا يتسلم الحكم الشيوعيون ·· هناك سؤال كان مطروحا سابقا وهو : لماذا كان يصر النظام الشاهنشاهي في نعت المسلمين بالماركسية ؟ فلو كانت هذه الصفة جيدة من شأنها أن تدفع الثورة الى الامام لما فعل النظام ذلك ، بل رأى ان هذه الصفة تمنع الثورة من البقاء وتحقيق أهدافها ·· كما أن التاريخ يدل على ان المجموعات الماركسية كانت لها تأثيرات سلبية بشكل عام في نضال الشعب · ان اصرار الامبرياليين في وصم النهضة في ايران بأنها شيوعية نتيجة ادراكهم ان هذه التهمة كافية لزرع بذور التفرقة بين أفراد المجتمع ··

لو سلمنا ان لهذه الاقليات دورا ايجابيا في الثورة ، فهنا سؤال يطرح نفسه ألا وهو : ما الفائدة من التفكير بتقسيم الغنائم ؟ لو ان الثورة انتهت بسقوط النظام الشاهنشاهي لكان وقت قطف الثمار قد حان ، ولكن لم نقطع بعد المرحلة الأولى

من الثورة ·· ولا يمكننا في المرحلة الثانية تقسيم الدولة على من اشترك في الثورة لأن ذلك يفرض أن تضع كل جماعة ايديولوجياتها للتنفيذ وهذا مما يسبب صراعا بدون جدوى ، بل يعمل على التقهقر ، مع العلم اننا بأشد الحاجة الى التكاتف ووجود الصف الواحد داخل الحكم وخارجه ، وذلك لأجل بناء أمة أفضل ···

السؤال الثاني : هل يعتبر القرآن ان المستضعفين هم قوام الثورات ؟

الجواب : لم يحصر القرآن الارضية الاجتماعية للثورات في الطبقة المستضعفة فقط خلافا لما أراد بعضهم أن يصور المسألة بهذا المفهوم ·· وهناك مفهوم أعم وأشمل للمستضعفين يعم الاستضعاف المادي والمعنوي ·· لنأخذ فرعون مثلا على ذلك ، فهو متكبر وقد جعل نفسه الها ، ومع ذلك يحمل في طيات ذاته انسانا خاضعا للاستضعاف ، فتتنازعه شخصيتان : فطرية وهي انسانية محكوم على أمرها ، واكتسابية وهي فرعونية ··

أما من قال بأن أساس الثورة هو الاستضعاف اعتمد على قوله تعالى جل ثناؤه : (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) القصص ــ ٥ ــ فنحن لا نقبل بتفسير هذه الآية على أساس شمولها لجميع المسائل الاجتماعية ، وذلك لوجود آيات قرآنية أخرى تعتبر الايمان هو المعيار لانتصار الثورة ، ومنها قوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) ــ النور ٥٥ ــ وقوله : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض

يرثها عبادي الصالحون) • وقوله : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين) • فكمـا ان الله منّ علـى المستضعفين بارسال رسول منهم يقودهم الى النصر والى تحطيم اسطورة فرعون ، كذلك لقد وعد الله الذين آمنوا أن يحقق لهم انتصارات عظيمة •• فنلاحظ ان الخطأ الذي وقع فيه من يعتقد أن الاستضعاف هو أساس القيام على الظلم والجور ، وهو أساس النصر ، كان خطأهم أنهم فصلوا الآيات بعضها عن البعض مع أنها مترابطة في المعنى ومكملة احداها للاخرى ••

وبالنهاية أقول ان أساس الثورة الاسلامية هو حرب العقائد ونصر الايديولوجيات ، ان نصر الايمان هو الاصل ، والمؤشرات الاخرى فرعية •• وبنفس الوقت يرى القرآن أن المستضعفين هم أقرب الى الايمان من المتكبرين ••

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الثالثة

العدالة الاجتماعية

القيت في مسجد فرشته
في شهر نيسان ١٩٧٩

ان ثورتنا الاسلامية ترتكز على أركان ثلاث وهي : العدالة الاجتماعية والاستقلال والحرية •• والمعنوية الاسلامية ••

لنبدأ أولا بالحديث حول العدالة الاجتماعية : كلنا يعلم بالثورة الاسلامية التي حدثت في النصف الاول من القرن الهجري على الخليفة عثمان بن عفان والتي انتهت بمقتله على أيدي الثوار •• ومن أسباب الثورة ذكر لنا التاريخ أن عثمان كان يؤثر أفراد عشيرته على غيرهم من المسلمين ، فالأفضلية عنده في تولي الامور السياسية والاجتماعية كانت لمن يتصل به من حسب أو نسب أكثر ممن هو أهل لأن يتولى زمام الامور •• فسيرته كانت مناقضة للاصول الاسلامية ، (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ، كذلك فقد خالف ما سار عليه الشيخان وما تعهد به عند بيعته في أن يسير على سنة الله وسنة الشيخين وبهذا العهد تربع على كرسي الخلافة ••

ولقد أشار الامام علي (ع) لهذا الوضع المزري الذي وصلت اليه الدولة الاسلامية آنذاك ، بما معناه : ان قبولي للخلافة سببه وجود فئتين في المجتمع : احداها متخمة والاخرى لا عهد لها بالشبع •• اذ ان التاريخ ذكر لنا ان عثمان الذي كان من عائلة ذات مقام رفيع في الجاهلية ولم يكن لهم أثر ذا فعالية في صدر الاسلام ، فأعطاهم المراكز العالية بسبب قرابتهم وليس

لأنهم أهلا لها ·· فكرس بذلك النظام الاقطاعي وفتح بيت مال المسلمين لعشيرته وجماعته المقربين ··

بظهور طبقة ثرية في المجتمع على حساب آلاف المسلمين ، وبانتشار الظلم والجور من قبل الولاة ، رفع الناس في الكوفة ومصر والحجاز شكواهم الى الخليفة الثالث ولكنه لم يسمع لهم ، فحملوا السلاح بوجهه ، وصدهم الامام علي (ع) الذي كان صلة الوصل بين الثائرين وبين الخليفة ، وكان يهدىء الثوار لئلا تعم الفتنة ويستغلها المنافقون ، وكان ينصح عثمان بأن يترك الذين حوله ـ وكلهم انتهازيون ـ يؤثرون مصالحهم على مصالح الأمة الاسلامية ·· ولكن عثمان لم يأبه لنصائح الامام (ع) ، وأذعن لاقوال مروان بن الحكم الرجل الثاني في الدولة الذي كان مبعدا من المدينة هو وأبوه منذ زمن الرسول (ص) لأنهما من المنافقين ولم يقدرا أن يرجعا الى المدينة الا في عهد عثمان فكان مروان مستشاره والآمر المنفذ لاقواله ·

وعلى أثر هذا العناد من الخليفة والتشبث بأصحابه الانتهازيين زاد الثوار من نقمتهم وغضبهم فوثبوا وثبة واحدة على دار الخلافة وقتلوا الخليفة ، وذهبوا الى دار الامام علي(ع) لمبايعته متصورين ان الازمة انتهت بانتهاء رأس الهرم آملين أن يقبل الامام البيعة وبذلك تعود الحياة الى ما كانت عليه أيام الرسول الاعظم (ص) ··

ولكنهم فوجئوا برفض الامام للخلافة ، حتى مضت أيام والناس حيارى من اصرار الامام على عدم قبولها ، مع ان الخلافة أتته طائعة ولم يسع لها ، ولكن الامام أخيرا بعد ما

رأى من الناس اجماع كلمتهم ، والفوضى التي حلت بالبلاد تسلم زمام الأمور وقبل البيعة ، وأفهم الناس بأن اصلاح الدولة وتثبيت العدالة الاجتماعية واعطاء كل ذي حق حقه لا يكون بتغيير شخص ، بل يريد تغييرا جذريا .. كما ان السير على الصراط المستقيم وعلى سنة رسول الله يحتاج الى حزم وشدة وعدم مراعاة صداقة ولا قرابة ، بل الحق يُعلى ولا يعلى عليه فعندما ابتدأ الامام (ع) بتطهير الدولة الاسلامية من ولاتها وقوادها الجائرين الظالمين أمثال معاوية بن أبي سفيان وأمثاله، نصحه بعض الناس بالتريث واللين فأجابهم كيف يكون ذلك وهم ظالمون وأعمالهم منافية للقرآن والسنة ، وأشار لهم الى مسألة دقيقة بقوله : « ان في العدل سعة » ..

وكان الامام (ع) صريحا لا يهاب أحدا ، ويعتقد بأن اخفاء الحقائق عن الناس هو خيانة للشعب .. ولكن الانتهازيين والمستفيدين أيام عثمان لم يعجبهم اظهار الحق والسير على الصراط المستقيم كما أمر القرآن ، وانتهاج منهج رسول الله ، لأن معنى ذلك هو تناقص ثرواتهم ومنعهم من احتلال المراكز العالية في الدولة .. لذا بدأت المعارضة من الزبير وطلحة وعائشة فجهزوا جيشا وكانت معركة الجمل الفاصلة بينهم بانتصار الامام علي (ع) .. وتحرك معاوية من الشام الذي خسر مركزه ايضا لأن الامام أقاله من منصبه ، وكانت معركة صفين .. وانبثقت منها حروب الخوارج .. وهذه الفتن والحروب كان سببها ان الناس تعودت على الخروج عن الاسلام فرجعت القهقرى الى الحياة الجاهلية ، كما ان بعضهم استفاد من تلك الاوضاع قبل خلافة الامام (ع) فجمعوا مبالغ طائلة

واغتنموا غنائم كبيرة بسبب الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل فازدادت مواردهم المالية على أساس من الظلم والجور ‥ وهذا ما منعه الامام علي (ع) ونصب الولاة المؤمنين الذين يخافون الله ويسيرون على هدى رسوله الكريم ‥ وبهذا علّم البشرية السير على العدالة الاجتماعية وأن لا يخافوا الا من الله العلي العظيم ‥

أما بالنسبة لثورتنا فان العدالة تشكل احدى أهم الضمانات لاستمرارها مستقبليا بنجاح ‥ وهنا سؤال يطرح نفسه وهو : ما هو التفسير الاسلامي للعدالة الاجتماعية ؟ بعضهم يعتقد ان العدالة هي التساوي بين الافراد في كل شيء ، وهؤلاء لا يعتبرون الفرد بل المجتمع ، فهو الذي له الاهمية الكبرى ‥ وهناك النظام الرأسمالي الذي يعطي أهمية عظمى للفرد بدون تحديد لطموحاته ورغباته ‥ وهناك الاسلام الذي يعتني بحرية الفرد ضمن حدود معينة لا يتجاوزها لتؤثر على حرية الفرد الآخر أو أن تضر بالمصلحة العامة ‥ فالاسلام يأخذ بعين الاعتبار الفرد والمجتمع معا ، علاوة على التضحية الانسانية والاخلاص الديني الذي يشعر بالاخوة بين المسلمين ٠

فالامام علي (ع) أعطانا أمثلة كثيرة عن العدالة وعن السلوك الذي يجب على المسؤول اتباعه وكيفية الحفاظ على بيت مال المسلمين ، بدون أن يراعي قرابة أو غيرها ، فيحدثنا التاريخ أن ابنة الامام (ع) أعجبت يوما بعقد تزين به عنقها فاستأذنت من المسؤول عن بيت المال بأن تستعيره ليلة العيد فأذن لها ، فلما رآها الامام غضب كثيرا ووبخها على أخذ شيء من بيت المال ، ثم قالت له انها لم تتصرف الا باذن من المسؤول ، فذهب اليه

الامام فلم ينكر بل قال : أنا أذنت لها فقال : لولا ذلك لقطعت يدها ..

فهنا يضرب لنا الامام مثلا ، وما أروعه ، اذ أنه في حق من حقوق الناس لا يتساهل أبدا حتى ولو كان المعني أحد أفراد بيته بل ينفذ حكم الله بدون تردد أو وجل .

فهذا مقياس العدالة عند أوليائنا ، وعلى الثورة أن تسير على نفس الطريق .

المحاضرة الرابعة

الاستقلال والحرية

القيت في مسجد فرشته

في شهر نيسان ١٩٧٩



هناك حالات عدة يكون فيها الانسان غير مستقل أو مسلوب الحرية ·· منها عندما يكون الانسان طفلا ، فهو تحت سيطرة أبويه يوجهانه كيفما أرادا ·· والعبيد أيضا حياتهم بأيدي أسيادهم فلا يملكون اتخاذ القرارات حتى في أخص خصوصياتهم وهناك الفلاح في ظل الحكم الاقطاعي فللأخير سيطرة تامة استغلالية كبيرة للفلاح المسكين الذي لا حول له ولا قوة ·

في عصرنا الحالي نجد ان النوعين الاخيرين يكادا أن يكونا مفقودين لا وجود لهما على أرض الواقع ، ولكن ظهرت المسألة في اطار آخر ، اذ ابتدأ الاستعمار الدولي بثوب جديد ووجه ضاحك ، فنرى أن هناك دول بكاملها تحت سيطرة دولة كبرى تملك بأيديها اقتصاد تلك الدول وبالتالي لها سيطرتها السياسية عليها ، فهي ايضا ، أي الدول المستعمرة ـ بالفتح ـ مسلوبة الحرية ولا تتمتع بأي استقلال ذاتي ، حتى ولو نادت بالحرية ، أو رفعت شعارات مشابهة ·· فكلنا عاش في ايران ورأى وسمع ولاحظ ان النفط والاقتصاد والموارد الزراعية الايرانية كلها كانت تحت سيطرة امريكا ·· فهذه العبودية أشد وطأة من تلك التي كانت في العصور الغابرة ·· فحياة الشعب الايراني مرهونة بأيدي الاجانب ومفتاح مستقبل البلاد كان في جيبهم ، يتصرفون بنا كما يريدون ، ويستغلوننا أذل استغلال ·· حتى ثقافتنا

الاسلامية الاصل حاول الاستعمار تشويهها لاستبدالها بثقافة غربية لتمرير خطتهم الجهنمية ضد شعوب العالم ليتمكنوا أكثر في استبدادهم وظلمهم ٠٠

فالاستقلال اذن هو جوهر الحياة ويدخل في كل المجالات الثقافية والاقتصادية والعقائدية والسياسية ، فأهم العناصر لبناء أمة جديدة هو الاستقلال التام ٠٠

يروى أن سيناتور في مجلس الشيوخ زار جامعة طهران وألقى كلمة قال فيها : ان هذا التمدن والحضارة التي نعيشها نحن مدينون فيها الى الغرب ، لأننا أخذناها عنهم ، كذلك ان العلم الذي تدرسونه ، من طب وأدب وغيرهما منبعه الغرب ٠٠ وهل تعرفون على ماذا كانت تعتمد ثقافتنا بالسابق ؟ انها كانت تعتمد على الخزعبلات ، والكتب مليئة بتعاليم اللعب مع الثعابين ٠٠ ثم طرح موضوعا حتى يكتب فيه الطلاب وتجرى فيه مباريات ، وفي ظنه هذا تشجيع للطلاب ٠٠ ففاز أحدهم بالمباراة وكتب أحسن موضوع ، فلما دعاه السيناتور فوجىء بأنه طالب علم ديني وقال له : كنت أظن ان الفائز سيكون من الذين درسوا في أوروبا ولم أحسب حسابا أنه سيكون ممن درسوا العلوم القديمة ! فأجاب الشيخ بعصبية : أتعلم انني اعتمدت في كتابة البحث على حديث نبوي ٠٠ ثم ما تلك الخزعبلات التي تفوهت بها عندما زرتنا ، ألا تعلم ان كتب ابن سينا وأسفار الملا صدر ومنظومة السبزواري في المواد الاساسية لهذه العلوم التي نتلقاها في الكليات فهي عماد دراسة الادب والفلسفة ، ولكنك تناسيت كل هذه القيم وتعلقت بعلم الثعابين لتثبت أننا لا شيء ويجب علينا أن نبقى تحت سلطان الغرب أذلاء ، انتهى ٠

في عصرنا الحالي لا يستطيع أي شعب بأن يدعي انه واضع علم من العلوم ، وهذا لاشتراكها وتداخلها ، ولكن التمييز يحصل في العقائد وطرق التفكير ومناهج الحياة المتبعة ·· وهنا تبرز مسؤولية الشعب لحفظ هويته الخاصة والتمسك بوطنيته وعدم الرضوخ للاتجاهات الغربية ·

في السنوات الاخيرة ظهرت فئة تؤمن بالتقاط العقائد التقاطا من الشيوعية تارة ، ومن الوجودية أخرى ، ومن المذهب الاسلامي ومع ذلك يعتقدون بأن هذه هي العقيدة الاصيلة ··

اني أحذر من التعامل مع تلك المكاتب الاجنبية مهما كانت الهوية ·· اذ ان فنائنا كامن في ابتعادنا عن الخط الاصيل ، ألا وهو المذهب الاسلامي ··

هناك موضة فكرية شائعة ، وللاسف بين أبنائنا ، وهي المقولة ان الاقتصاد وهو العامل الاساسي للتاريخ والديالكتيك هو منطقه ، ولذا يفسرون الاسلام ديالكتيكيا ·· فهؤلاء حتى ولو ان نواياهم غير سيئة ولكنهم يساعدون على بث النفاق ، وفكرهم يؤدي الى تشويه الحقائق الاسلامية ·· يجب علينا اظهار الاسلام كما هو في أجلى صوره وأصدقها ونثبت انه يختلف عن الشيوعية وعن الرأسمالية وأفكار الغرب ·· فالتفسير الغربي لبعض الآيات القرآنية مرفوض اسلاميا ، اذ أنهم يلجأون الى النظريات العلمية لينكروا وجود المعجزات ، كأن يقولوا ان فرعون وجنوده لما اتبعوا موسى وبني اسرائيل وانشق البحر لموسى وغرق فرعون هذا ليس فيه شيء غريب لأن موسى عبر البحر حين كان الجزر ووصل اليه فرعون فأغرقه المد ·· أما انقلاب العصا حية تسعى يفسرونها بالمنطق القوي عند موسى الذي استطاع التغلب على

حجج فرعون وحاشيته ، فكأنه بمنطقه ابتلعهم كما تبتلع الحية ضحيتها .. ان عدم اذعـان هؤلاء للمعجزات السماويـة التي استدل عليها بالعقل والنقل هو دليل انفصالهم عن دائرة الاسلام وتبعيتهم للغرب وانهم يخدمونه لاستعمارنا واستعمار كل دول العالم الثالث .. وخيانة هؤلاء لشعبهم وأرضهم واضحة كـل الوضوح بل هي أشد ممن تعلق بالمكاسب المادية ...

المحاضرة الخامسة

الاتجاهات المعنوية في الثورة الاسلامية

القيت في مسجد فرشته

في شهر نيسان ١٩٧٩

ومن الأركان المهمة والتي كان لها تأثير بعيد المدى في الثورة الاسلامية هو المعنوية ٠٠ ويتفق الجميع بأن لا استمرار لأي مجتمع بدون معنوية ٠٠ فما هي المعنوية ؟ فحدها المتعارف عليه هو : عدم وجود سلسلة من الممارسات والتصرفات ٠٠ فالمجتمع عندما لا يكون أنانيا ولا انتفاعيا وغير متعصب دينيا ولا عنصريا عندئذ يتمتع بصفة معنوية مرتفعة ، ويكون أفراد المجتمع متحابين فيما بينهم كالاخوة ، فلا وجود للانانية ، وتعم المحبة الجماعية والتفكير في المجتمع ككل وهذا من شأنه أن يذيب « الأنا » ٠٠

وهنا سؤال ملح وهو : هل نستطيع أن نكوّن هكذا مجتمع ؟ وهل هذه الصفات السلبية هي المعنوية ؟ يقول من يؤمن بذلك التعريف : أن الانسان بطبعه اجتماعي وعندما نبحث عن سبب الانانية والانتفاعية الشخصية عند الانسان نجدها كامنة في حبه للملكية الخاصة ٠٠ ولكن البشر كانوا قديما يعيشون جماعات جماعات وكل جماعة تفكر تفكيرا جماعيا ولا وجود للأنانية بينها ٠٠ ولكن عندما تطور المجتمع وظهرت الملكية الخاصة وجدت الأنانية وكان حب الذات ٠٠ وبازالة الملكية الخاصة من الدولة نقضي على تلك الصفات ونحقق صفات سلبية هي المعنوية ٠٠

والملكية تعني : استلام وسائل التوليد ، وبالتالي ظهور الاشياء التي تميز الافراد عن بعضهم ٠٠ فمن يقول هذه سيارتي أو هذا بيتي أو هذا متجري يكون قد ميز نفسه وفضل ذاته على الآخرين ٠٠

وبهذا الشكل فان الايمان بالله والايمان بالغيب وما وراء الطبيعة والانبياء والاعتقاد الديني ، كل هذا لا يعني شيئا أبدا وان المعنوية الاخلاقية تعني اتحاد النفوس للعمل ..

وهناك من يقول انه مع فرض اعتبار مصدر الانانية هو تعلق النفس البشرية بأشياء يمتلكها الانسان لنفســه ، فسوف لا تزول الانانية بنفي الملكية الخاصة وذلك لوجود عوامل أخرى اجتماعية تحدد الفرق بين الافراد ، فهناك تتدرج وتتسلسل في سلك الوظيفة ـ مثلا ـ اذ لا بد من وجود مدير عام ورئيس المصلحة وموظف بسيط وعامل عادي ، فهذه مراتب في الوظيفة مفروغ منها ولا تستقيم أعمال الدولة بدون هذا التفاوت ، أي وجود رئيس ومرؤوس .. حتى في الحزب الشيوعي نفسه فهناك رئيس للحزب ثم اللجنة المركزية العليا ثم بقية المنتسبين على تفاوت أيضا في المهمات والمراكز ، فطبعا الرئيس وأعضاء اللجنة لهم مميزات وخصوصيات معينة غير معطاة لبقية منتسبي الحزب ثم نقول للذين لا يؤمنون بالملكية الخاصة ، أي ان يسود المجتمع الفكر الاشتراكي ، فنسألهم هل الاشتراكية في المال وحده أم انها أعم حتى تشمل الاشتراكية في النساء أيضا ، فهل يقــدر الانسان حينئذ أن يتخذ زوجة ؟ أم ان زوجته مشتركة بينــه وبين آخرين ؟

أقول : ان الاشياء لا تتعلق بالانسان بل ان الانسان نفسه هو الذي يتعلق بالأشياء ، أو بعبارة أخرى ان الحالة التــي نسميها بحب الحياة موجودة في الانسان .. فعوضا عن أن نجرده من الملكية نحاول تجريده من حبه للملكية ، فيكون الاصلاح من داخل الانسان .. أما من حيث الوسيلة المتبعة فانني أعتقد ان

افضل الوسائل لذلك هو التمشي مع فطرته التي فطر عليها ، وهي الفطرة الحقيقية الكامنة في ذاته والتي تشكل حقيقة وجوده وهي : الايمان بالله الواحد الاحد وعبادته على غير وجه وكما أراد سبحانه وتعالى ٠٠ وهذه العبودية لله وحده لا تعني التعلق ، اذ أن التعلق بشيء سيحدد قيمة الانسان ٠٠ فبالايمان لله وبعبادته يرجع الانسان الى حقيقته ويكتسب المقدرة على التكامل الانساني نحو اللانهاية ٠٠ وهنا تتعدد رغبات الانسان وتتحدد شهواته نحو الاشياء فتنظم الحاجة التي تملي على الانسان امتلاك شيء بصورة عادلة حسب نظرة الاسلام الى التملك ٠٠ اذ أن الروابط اذا كانت ظالمة أو من غير شعور بالمجتمع الذي هو فيه بل تحكمه الانانية العمياء تؤثر على فطرته الحقيقية وبالتالي يجعل الانسان هوة كبيرة بينه وبين خالقه ٠٠ وهذا مرفوض ٠٠ فبملاحظة الفطرة والايمان بالله والسير على المنهج الاسلامي الصحيح تنتظم الروابط الاجتماعية وتصبح الملكية ظاهرة جيدة ٠٠ قال الله تعالى في كتابه الكريم : (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) ٠٠ آل عمران ٦٤ ٠

فالقرآن يؤكد على أن الايمان بالله شرط أساسي لتعايش الشعوب بسلام وأمان ، أما بالنسبة لقانون الملكية والروابط الاجتماعية للانسان فيقول القرآن : (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) ـ علق ٦ ـ ٧ ٠٠ فالسعادة لا تتم بالغنى بل بالقناعة ٠٠

لنعود الى حديثنا فنقول : هل بامكان المعنوية ـ وتعبر عنها

بعض الاتجاهات الفكرية بالانسانية ـ أن توجد ذلك العمق الذي تقترحه الاديان ؟ وهل من الممكن أن يصبح الانسان معنويا بدون تفسير وجوده ووجود العالم الخارجي على أساس معنوي ؟ وهل المعنوية ممكنة الوجود بدون الايمـان بالله وباليوم الآخـر والايمان بأن هناك عوامل غير مادية في وجود الانسان نفسه ؟ فالجواب في رأيي : بـ كلا ٠٠

من خصائص ثورتنا الاسلامية أنها كانت متكئة على المعنوية الواقعية ٠٠ وهذه المعنوية تختلف عن تلك التي يقولون بهـا المؤمنون بالانسانية ، اذ أننا نرى بطـلان نظرياتهم في نفس الدول التي لا توجد فيها الملكية الخاصة ٠٠ اذ عدم وجـود المعنوية لم يقض على عدم تفشي الانانية بل انها منتشرة بنفس المقدار التي هي موجودة فيه في الدول الرأسمالية ٠

وأوضح مثال على بطلان ادعاء أن الملكية الخاصة هي مصدر الأنانية ، هو ستالين الذي عُرف بأنه أكبر ديكتاتور عرفـه التاريخ ، فهل كان عنده ملكية خاصة تدفعه نحو عبادة ذاته وحبه الكبير لنفسه واعتداده برأيه فقط دون اعتبار الآخرين ؟ فهذا دليل على أن سلب الملكية الخاصة لا تحل مشكلة المعنوية بل حلها محصور بالعدالة الاجتماعية التي سببها الايمان بالله ٠

وللأسف اننا نرى في المجتمعات المتحضرة اهتزاز في الروابط الاجتماعية ، بمعنى أن هناك افراط في اليمين وافراط في اليسار وهذا الأسلوب الخاطىء هو المتبع في حل المشاكل الحياتيـة ، ونادرا ما نلاحظ أن العدل هو الحاكم وهو السائد ـ مثلا ـ كثر الحديث في مجتمعنا قبل خمسين عاما حول المعنوية ونسي الناس التحدث في العدالة الاجتماعية ٠٠ والآن نراهم يكثرون

في النقاش حول العدالة الاجتماعية واهمال المعنوية ٠٠

أما الجرائد التي من واجبها أن تكون لسان الشعب ، كل الشعب ، نراها اليوم تحلل الأمور تحليلا ماديا ، ولا يعطون أهمية للمعنوية ، وذلك واضح في تفسيرهم لمعنى يوم الآخرة اذ يعتبرونه نهاية الاشياء ، وبذلك يخالفون القرآن والسنة اللذان يؤكدان وجود عالم آخر ٠٠

فان هؤلاء بتجريد العدالة عن المعنوية ينحرفون عن الصراط المستقيم ٠٠ ويجب أن يدرك الناس أجمعين بأن لا عدالة بدون معنوية ٠٠ والمعنوية بنظر القرآن هي أساس التكامل ٠٠ انظروا الى حياة الرسول تجدونه مع كل مشاكله والمسؤولية التي حملها يقول عنه القرآن : (ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم) ـ المزمل ٢٠ ـ ٠

وتكرر نفس الوضع مع الامام علي (ع) فانه كان (ع) يشتغل في النهار فيتعب ولكن تعبه لا ينسيه ربه فيقوم في الليل خاشعا متوسلا العلي العظيم فيحيي ليله بالصلاة والدعاء والبكاء ٠٠

هذا هو واقع التاريخ الاسلامي وتلك هي صراحة الآيات القرآنية ٠٠ ولا نستطيع تأويل وتفسير تلك المسائل ٠٠ وأي تفسير مادي لهذه المسائل هو خيانة للقرآن ٠٠ ان ثورتنا ستهتم في النهاية الى جانب العدالة الاجتماعية بالحاجة الى المعنوية بمفهومها الشمولي والشائع ٠٠ تلك المعنوية التي رأينا نماذج منها في الانبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



الروحانيون والثورة

سيكون كلامي حول موضوع مهم وهو دور علماء الدين قبل الثورة وبعدها ٠٠ ومع ان عملهم واضح بيِّن لا يخفى على أحد من أنهم يسيرون على الخط الاسلامي لتحقيق الاهداف السامية كالقضاء على الظلم واقرار العدالة والاصلاح في المجتمع ٠٠ مع ذلك نجد أن اليسار دائما يتساءل كيف أصبح علماء الدين ثوارا ؟ اذ باعتقاد الفئات اليسارية أن الطبقة المحرومة هي أساس الثورة الشعبية ، ولذا لا يتسنى لرجال الدين قيادتها لأنهم على علاقة وثيقة بالحكم الشاهنشاهي ، أما مسيرهم مع الثوار فعلى أساس خطة مدبرة من الطبقة الحاكمة لانقاذ عرشها ، بعد ما وجدت نفسها على شفير الهاوية لجأت الى الروحانيين لاحتواء الثورة حتى يعبدوا للطبقة الحاكمة طريق العودة ٠٠ وأصدرت منظمة « طوفان » السرية نشرة في شباط سنة ١٩٧٩ في جريدتها « حزب العمال والفلاحين الشيوعيين الايرانيين » وقالت فيها : لا تنخدعوا بهؤلاء الرجال الذين يُدعون رجال الدين ، لأنهم من صنع نظام الشاه ويريدون حفظ هذا النظام ٠٠

كذلك نجد عند بعض المثقفين العجب والغرابة في أن قيادة الثورة الايرانية بأيدي علماء الديـن فيحاولون بأية وسيلـة الصاق التهم بأنهم عملاء للانكليز والروس ‥ وهذا الاتهـام للعلماء الروحانيين نتج عنه فصل بينهم وبين بعض المدنيين ، يقول أحد الكتّاب ، وهو ابتدأ حياته الفكرية مع حزب تودة (الحزب الشيوعي الايراني) ثم أصبح متدينا مع مرور الايام في مقال له سنة ١٩٧٩ : بأن السبب الرئيسي في هزيمة ثورتي المشروطية والوطنية بقيادة « مصدق » هو الانفصال الذي حصل من قبل العلمانيين مع المؤمنين ورجال الدين ، ومحاولة استئثار جماعة مصدق وحدهم بالسلطة بعد نجاح النهضة ‥

في هذه الثورة كان يظن بعض المثقفين بأن العاملين الاساسيين في المجتمع والثورة هما العامل الاقتصادي والعامل السياسي ‥ ولم يستطيعوا التوصل الى وجود عامل آخر هو أمتن وأعمـق جذورا في المجتمع وأسبق وجودا في الثورة من العاملين ألا وهو العامل الديني ‥

ولوجود تلك الافكار المسمومة في المجتمع وطرحه على سبيل مسلمات أردت أن أركز على دور علماء الدين في ايران وضرورة بقائهم ونشاطهم لاستمرار وبقاء الثورة ‥ وقبل الخوض في ذلك أريد أن أجيب على استفسار أكثر الناس عن سبب نفوذ رجال الدين القوي ؟

منذ فترة وجيزة أجريت موازنة بين علماء الدين الشيعـة وبين علماء السنة وقلتان النظرياتوالآراء الاصلاحية المطروحة من قبل علماء السنة أكثر مما هو مطروح من قبل علماء الشيعة ومع ذلك لم يستطيعوا ايجاد حركات اصلاحية عميقة في المجتمع،

على عكس علماء الشيعة الذين تميزوا بايجاد حركات اصلاحية كثيرة في المئة سنة الاخيرة ..

ان أحد الامريكيين الذين آمنوا بالاسلام ظاهرا كتب كتابا عن تاريخ ايران الحديث جاء فيه : ان لعلماء الدين في ايران الدور الاساسي في نهضة المشروطية ، وان رجال الدين الشيعة كانوا دائما معارضون لسلاطين عائلة قاجار ، وكانوا في طليعة الذين تصدوا لنفوذ الطبقة الحاكمة وللاستعمار البريطاني في ايران .. وفي النهضة التي حدثت لأجل تأميم شركة البترول الايرانية وانتزاعها من أيدي الانكليز ، لم تكن لتنجح لولا ترأس آية الله خونساري والكاشاني ومنظمة فدائيان الاسلام لهذه الحركة بجانب مصدق رئيس الحكومة آنذاك .. ومنذ سنة ١٩٦٣ الى يومنا الحاضر كان ولا يزال علماء الدين هم الطليعة في قيادة الثورة الجماهيرية لأجل الاطاحة بالطاغوت ، واقامة الحكومة الاسلامية .. ولكن الكلام عن الماضي ما هو الا للعبرة فغير مجد ، وعلينا أن نخطط للمستقبل ، ولأجل ضمان مستقبل زاهر وحياة اسلامية نحن بحاجة ماسة الى علماء الدين بشرط أن يدركوا أو يعرفوا وظائفهم بشكل جيد ، ويعوا المسؤولية وعيا رفيعا ، ويكثفوا الجهود أضعافا مضاعفة معتبرين هذه الفترة فترة جهاد ونضال ، لا فترة قطف الثمار ..

في صدر الاسلام كان الجهاد وجها لوجه مع الكفار حتى موقعة كربلاء واستشهاد الحسين (ع) .. أما في أواخر القرن الهجري الاول وما بعده فقد انقلبت الاوضاع وتبدلت الاساليب وامتزجت الشعوب بعضها ببعض تحت راية الاسلام ، وامتدت

الدولة الاسلامية لتشمل أراض شاسعة ·· فاتجه المسلمون نحو العلم وتركوا السلاح جانبا ·· وانعكفوا على القرآن لفهمه فهما صحيحا ، وابتدأوا بدراسة الاحاديث النبوية والتفاسير القرآنية فهما وتمحيصا وتدقيقا ·· وبينوا الاحاديث الكاذبة والاباطيل المزعومة من قبل المنافقين ، وأظهروا أقوال الرسول (ص) الصحيحة ، وكان يوجد أيضا أصحاب الاديان الاخرى الذين كانوا يدافعون عن معتقداتهم وآرائهم في جو تسوده الحرية ·· وسنأخذ أسلوب الامام الصادق (ع) في الجهاد العملي والفكري في ذلك الزمان مع الطاغوت ومع أصحاب الافكار المنحرفة ، اذ كان عليه (ع) أن يواجه أفكارا ذات اتجاهات مختلفة وكثيرة ، وهي الفرق الكلامية والفلسفية والفقهية ، ووجود اليهود والمجوس والجاثليق (الكاثوليك) والمكاتب الدهرية والمادية ··

وهذا الوضع نفسه عاشه امامنا الرضا (ع) في عهد الخليفة المأمون الذي كان محبا للعلم ومجلسه كان حافلا بالعلماء والمناقشات الفكرية كلها تجري في حضوره واشرافه ، وكان الامام الرضا (ع) يتصدر هذه المناظرات مبطلا ادعاء الاتجاهات الغيراسلامية مثبتا عقيدة الاسلام ··

مما ذكرنا يتبين ان وظيفة القائد الديني هي بيان الصراط المستقيم وادحاض الافكار المنحرفة وابطال الادعاءات الباطلة ·

فعلماؤنا لهم هذا الدور في هذه الايام ·· وعليهم التنظيم والاتحاد في النشاطات وتكثيفها لمقابلة الافكار المعادية ·· وعليهم ارشاد الناس واصلاحهم من خلال المساجد التي تعتبر أكبر قواعد للروحانيين ، أو من خلال الاذاعات المرئية

والمسموعة التي يجب أن تحتوي على برامج تثقيفية دينية ..

وأشدد القول بأن ضمان دوام ثورتنا في خطها الاسلامي المستقيم ومضيها في طريق النصر مترابط مع بقاء رجال الدين على رأس القيادة العليا في البلاد .. أما اذا نزعت هذه السلطة من أيديهم فاني أرى ان الدين سيمسخ ويمحق بعد قرن من الزمان أو بعد جيل من الآن .. من هنا نلاحظ أهمية الحفاظ على هذه المؤسسة الدينية ، وهذا لا يمنع من اصلاح ما فيها من خراب وآفات لتدب روح النشاط فيها مجددا ..

أما سبب ترأس علماء الدين الشيعة للحركات التحررية على مدى التاريخ فهو يرجع الى الثقافة الدينية الواسعة التي يتمتعون بها ، هذه الثقافة المولدة دائما للحركة وللثورات ، اذ أن النبع الذي تغترف منه هو علم الامام علي (ع) وتتغذى من أفكاره ، وتقتدي بأفعاله .. وهذه العناصر المولدة للحركة الدائمة لا توجد عند غيرنا .. والسبب الثاني ان علماء الشيعة ، بل الطائفة الشيعية بشكل عام ، كانت ولا زالت منذ فجر التاريخ معارضة للسلاطين والملوك، فينكرون أحقيتهم في الحكم ويسلبون الشرعية في تسلطهم على رقاب الناس .. كذلك ان علماءنا تميزوا بمعنويات رفيعة مستندة على الايمان بالله وبالاسلام قولا وفعلا والذي يصر على احقاق الحق والعدالة للناس أجمعين والمساواة بين أفراد المجتمع ، فلذلك استند علماؤنا على الناس لأنهم طالبوا أن يعيش الناس حياة سعيدة في حرية وعدل ومساواة وانهم لم يساعدوا الحكام على ظلمهم وعلى جورهم لأنهم لم يكونوا جزءا من الدولة .. لذلك لاحظنا ان أبا يوسف القاضي في عهد هارون الرشيد لم يكن يتمتع بشعبية لأنه مشى مع

السلطة ، بينما نرى شعبية الامام محمد عبده كثيرة جدا ، كذلك المصلح الكبير الشيخ محمد شلتوت المصري فانهم عارضوا السلطة لأنها جائرة ورفضوا السير الا تحت راية الاسلام كانت لهم الشعبية الواسعة والتأثير على الناس ..

فالروحانية الشيعية قامت منذ البدء على الاستقلال عن القدرات الحاكمة ، وهذه الاستقلالية عند أولئك العلماء جعلتهم رأس الحركات الثورية التحررية .. ويجب على علمائنا حفظ هذا الأسلوب في المستقبل أيضا .. وكما قال المرشد الأعلى للثورة وقائدها : يجب على علماء الدين أن لا يتقبلوا المناصب الحكومية في الجمهورية الاسلامية ، وعليهم الوقوف بجانب الدولة لارشادها ، مع العلم ان هناك مناصب خاصة لعلماء الدين كالتعليم والقضاء فيجب التمركز فيها .. وانهم لو أسسوا مؤسسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل مستقل عن الدولة لقادرون على القيام بالارشاد والاصلاح اذا وجد خلل ومراقبة الدولة بشكل أفضل ..

والى جانب ذلك يجب أن يسعى العلماء دائما الى احياء المساجد واحياء صلاة الجماعة مع القاء محاضرات اسلامية في الوعظ والارشاد .. ويجب حذف الانحرافات والخرافات والاكاذيب الواردة في بعض الخطب ..

وأنهي حديثي بالقول ان لعلماء الدين الوظيفة الاساسية في حفظ الثورة وضمان استمرارها نحو الافضل .. ويجب عليهم

تكثيف الجهود ليكون باستطاعتهم احتلال المكان المناسب في المجتمع والبقاء دائما في الصدارة وفي موقع القيادة لهداية المجتمع نحو الايمان بالله والسير على التكامل الامثل على خطى الرسول الاعظم وعترته الأئمة الأطهار (ع) ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته